

الأعجاز

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة للبنان
العدد المكون: المدة السبعة عشرة، جلد الأول ١٤٤٨ هـ حريفا ٢٦-٢٠٢٠ م

فإذا غضب أحدكم فليتوضأ



جربونا... بتعرفوا طعمتنا



وجبات ساخنة
يومية



مأكولات و
سلطات متنوعة



تحضير الخضروات
الجاهزة



ORDER NOW! →



76/768067



al_ahbab.kitchen



مطبخ الأحباب



Al Ahbab Kitchen

من مطبخنا
إلى مائدتكم

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة-لبنان
العدد الستون، السنة التاسعة عشرة، جمادى ال ١٤٤٨ هـ، خريف
٢٠٢٦ جمعية علم وخبر ٢٧٩ / أد / ٢٠٠٥ - تعديل ٥٤ / أد / ٢٠٠٧



الفهرس

٤ ص	أ. صلاح سلام	الافتتاحية: المهجّر والمقيم سواء
٦ ص	رئيس التحرير	كلمة العدد: يا حفلة الأمانة
٨ ص	د. محمد أمين زكي	لماذا التسبيح بالأصابع؟
١١ ص	د. محمد فرشوخ	{ تُفْسِدُنْ فِي الْأَرْضِ } (إعجاز قرآني)
١٦ ص	د. ميساء بنات	كسر عظم الميت ككسره حياً (إعجاز نبوي)
٢٠ ص	محمد حسام عيتاني	"فإذا غضب احدكم فليتوضأ" (إعجاز نبوي) موضوع الغلاف
٢٨ ص	د. صبحي شوقي زردق	{فما لكم كيف تحكمون}
٣٢ ص	د. ميساء بنات	الرضاعة من غير الأم، علاج طبي لمرضى الثلاثسيميا
٤١ ص	د. نايف بن نهار	القرآن والتربية النفسية
٤٤ ص	أ.د. محمد جميل الحبال	التكامل والتناظر بين سورتي الرعد والسجدة
٥١ ص	الشيخ د. المحامي محمد صفصوف	إلغاء أفغانستان للنظام الربوي في المصارف
١٢٩ ص	أ.عبد الفتاح خطاب	لماذا يشغل "الحلال" الرأي العام العالمي بينما يمر "الكوشنر" بهدوء
١٢٤ ص	Dr. Spahic Omer	Islam Is More Empirical Than Science Itself
١٤٦ ص	د.محمد فرشوخ	الكلمة الأخيرة: الإسلام وعلم الطاقة

الهيئة الإدارية لـ "منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" في لبنان:

رئيس التحرير: العميد الركن المتقاعد الدكتور محمد فرشوخ

الإشراف الفقهي واللغوي: القاضي المهندس أسامة منيمنة

نائب الرئيس: الأستاذ باسم علي

أمين الصندوق: الأستاذ نبيل قرنفل

مستشار: الأستاذ صلاح سلام

مستشار: د. خالد حسين

العلاقات العامة: الأستاذ زهير الجندي

الرئيس والمدير المسؤول: ع.ر.م. د. محمد فرشوخ

أمين السر: الأستاذ محمد صفصوف

المحاسب: الأستاذ عبد القادر الصغير

مستشار: النقيب د.غسان رعد

تصدر هذه المجلة إلكترونياً وتوزع مجاناً

المؤازرة العلمية: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تصميم الغلافات: هادي فرشوخ

إخراج المجلة: مريم ديب

الافتتاحية

أ. صلاح سلام

المهجر والمقيم سواء

حين يسود الأمن في البلاد تتوجه الأنظار إلى بعض الحالات الجرمية والاعتداءات الفردية وإلى انخروقات الأمنية المحدودة، وهذا أمر طبيعي، إذ يصبح الحدث الأمني نافراً حين يكون نادراً. وأما عندما تمر البلاد باضطرابات أمنية او عندما تتعرض لاعتداء خارجي، فإن الاهتمام بالأمور التفصيلية يتراجع أمام الخطب والخطر اللذين تمر بهما البلاد. فكيف إذا كانت الظروف اليوم، وهي غير مسبقة، تتعلق باجتياح لجزء عزيز من الأرض، وكل أرضنا عزيزة، وتهجير لربع سكان البلاد أو يكاد، وتدمير كامل ومنهج لكل ما بنته وزرعته أيدي الآباء والأجداد، ولكل الإنشاءات الهندسية والمشاريع التنموية التي قامت بها الدولة والمؤسسات عبر السنين.

كيف هي الحالة النفسية للذين اقتلَعوا من أرضهم وأخرجوا من بيوتهم، وهُجِّروا من أعمالهم وأخلوا مدارسهم، كيف هم الآن في مكان مختلف وفي ظرف عصيب تغيّر فيه كل شيء من حولهم، الوضع سيّان سواء كانوا مقتدرين أو معدمين، والتأقلم واستئناف الحياة ليس بالأمر السهل.

من ناحيةٍ أخرى أفاق المقيمون على وضع مستجد، الزحام شديد في الطرقات وحتى على الأرصفة، وكذلك ضجيج الحياة، والوجوه تغيّرت، يعلوها الحزن أو القلق أو الامتعاض، ولربما الثلاثة معاً. السير بالاتجاه المعاكس للسيارات وللدرجات، الأصوات تعلو عند أي احتكاك، وتضاعف احتمالات النزاعات والإشكالات لأي سبب، مع تعدد معوّقات الحياة الطبيعية من تراكم النفايات إلى تغيّر الاهتمامات. حتى أن عدداً من المدارس والمرافق العامة تحوّلت إلى مراكز للايواء أو مواقف للسيارات وهكذا...

ما يلفت النظر ويثير الإعجاب أن هذا الحدث الجلل، وعلى الرغم من تبعاته المتلاحقة، لم يؤد (وبحمد الله طبعاً)، إلى مضاعفات داخلية بين الطرفين المقيم والمهجر، وأسباب ذلك إنسانية وأخلاقية بالدرجة الأولى على الرغم من تصاعد التصريحات السياسية وتبادل الاتهامات بين أطراف معنيين وغير معنيين عبر وسائل الإعلام.

إنه رغم المأساة، دليل على حس وطني وراقي اجتماعي وتربية دينية وعلى وجود أصوات عاقلة وإرادات واعية أحسنت تقدير الموقف ووجدت أن لا مصلحة لأحد في تحويل النعمة العارمة على العدو إلى ردود فعل داخلية الكل فيها ضحية.

والمرجو أن تسعى كافة القيادات والفعاليات إلى خفض التوتر والتصعيد الإعلامي والسياسي كي لا يُجرّ الرأي العام الداخلي إلى الصدام، والكل بغنى عن ذلك، خاصة وأن الأزمة مستمرة وقد تطول لبضع سنوات.

شكراً لكل عاقل، وشكراً لكل المواطنين الواعين الواقعيين والمدرّكين أننا جميعاً محتاجون للتكاتف والتضامن كي لا نقع مجدداً ضحية بين يدي المحتل وفريسة بين يدي المستغل. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول رسول الله ﷺ: "يَنْسُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ".

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
[الحجرات: ١٠]

كلمة العدد

يا حَلَّة الأمانة

الناس في كل المجتمعات بين اثنين، بين مهم بطعامه وشرابه وقوت عياله وصون ماله وهم الأغلبية، وبين نخبة من الناس، يدرسون حال مجتمعهم وينظرون في مستقبله، هل هو قابل للصمود أم آيل للسقوط، يعلمون أننا نعيش عصراً تتغير فيه حياة القوم فتتطور أو تتدهور بسرعة لم نعهدها في القرون السابقة. كل حدث على ظهر هذا الكوكب، يؤثر في مستقبل كل إنسان يعيش في إيران أو في لبنان أو في اليابان أو في فنزويلا أو في السودان.

بمعنى أوضح وعلى سبيل المثال، ثمة من يحاول أن يضع يده على مقدرات العالم وثرواته وخيراته من ذهبه إلى قمحه، بعد نفطه، ويحاول استبدال الأغذية الطبيعية بالأغذية المصنعة، ولا ندري إذا كان الداء يحمله الدواء لجعل سكان العالم يمرضون ويتناقصون.

مثال آخر للتوضيح، هو الحروب والصراعات المتنقلة في العالمين العربي والإسلامي، تدمر كل أثر حضاري عريق يربط الناس بالماضي التليد، وكل مورد وشريان اقتصادي تعيش عليه البلاد إلى أثر بعد عين، وتحول شعوباً مستقرة إلى شعوب مهجرة، أقصى آمالها لقمة العيش والمأوى والسلامة، بعد أن كانت تبني لمستقبل العلم والازدهار والاستقرار.

ثمة من ينذر العالم أجمع بأن هذه الثورة الرقمية التي تحاول استبدال الانسان بالآلة ليست ثورة، إنما طفرة، وأن جنون العظمة قد يؤدي إلى حرب عالمية محتملة قد تعيد الناس إلى الكتابة باليد وبالقلم على الورق، وما يبقى من سكان الكرة الأرضية إلى العصور الوسطى.

ومع أن الأمر ليس بيد هذه الشعوب والأمم المستهدفة لكن يبقى بيدها سلاح ليس بمقدور أحد أن ينزعه، إلا إذا تخلت هذه الشعوب عنه طوعاً، إنه السلاح الذي ينقذ الانسان والأسرة والمجتمع ويحفظهم ويصونهم، ويؤمن مسيرتهم في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، وهل الحياة الآخرة إلا ثواب ما اتقيناها، وجزاء ما اقترفناه! إنه المعتقد، إنه النظام الذي ينهض بالناس من الرقاد إلى اليقظة، ومن الصدمة إلى الوعي ومن اليأس إلى الأمل، إنه الدين الذي يأخذ بيد الانسان من العدم والقحط والبؤس إلى استعادة زمام المبادرة واستئناف الحياة على أسس سليمة تتسارع فيها الخطوات مؤيدةً بدعم خالق الخلق ومالك الملك العزيز القادر.

من يقدر على مثل هذه النهضة؟ بكل بساطة إنه الأم (الأسرة)، التي تعيد تربية أولادها على الحب والرحمة والتضحية، إنه الأب (الجزء) الذي يحمي عائلته ويقيها فساد الناس وشرور السوق منهم، إنه المعلم (المدرسة) الذي يكرس القيم والأخلاق حتى في دروس الرياضيات والعلوم الطبيعية، وحتى في دروس الرسم والموسيقى، إنه العالم (المسجد)، الذي نذر نفسه لإعادة الناس إلى دينهم القويم ولو اضطره الأمر إلى تقديم أغلى التضحيات. أولئك هم حملة الأمانة.

يبقى السؤال الأخير، هل علينا انتظار الحرب العالمية المدمرة لنتمكن لنا ديننا الذي ارتضاه الله لنا؟ ولماذا لا نبدأ منذ الآن بالعمل على إصلاح الفرد والمجتمع لعل الله تعالى يقينا من الأسوأ ويعاملنا معاملته لقوم يونس، حين وقاهم العذاب النازل لما رآه من توبتهم.

رئيس التحرير

لماذا التسبيح بالأصابع

د. محمد أمين زكي

يعتقد كثير من الناس أن حركة الأنامل أثناء الذكر التي امرنا بها رسول الله، هي مجرد عبادة روحية وشعائرية.. بينما يفجر العلم الحديث، الفلسفة الكونية، والطب النفسي التفصيلي، اليوم إعجازاً حيوياً مذهلاً يربط أطراف أصابعكم بخلايا أجسادكم ومسارات الطاقة الحرة في الكون.

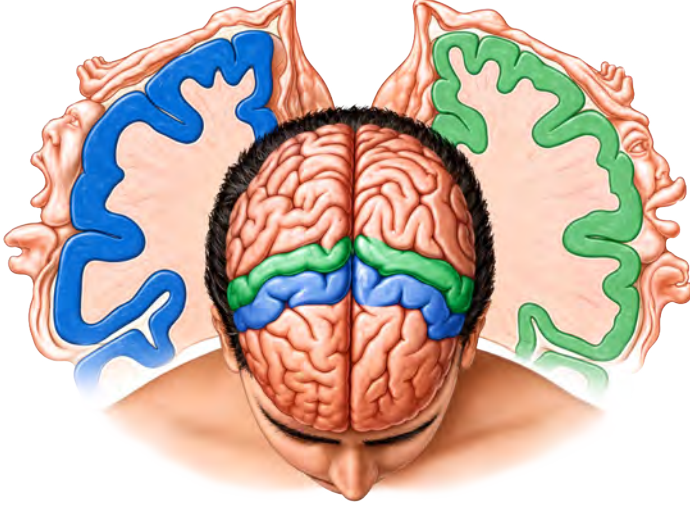
الهندسة العصبية للكفين: كيف تربح عقد الأصابع أجهزة الجسم الحيوية؟

تحتل اليدين بأكبر تمثيل عصبي في القشرة الحسية الحركية للدماغ، وهو ما يُعرف في الطب بـ (Cortical Homunculus)، حيث تندفق الإشارات بين الأنامل والدماغ بكثافة عالية جداً تفوق أي عضو آخر.

أول خطوة في الفهم السريري لهذا الإعجاز، هي ما أظهره العلم الحديث من أن كف اليدين يحتوي على نهايات عصبية ونقاط انعكاسية (Reflexology Points) متصلة بجميع خلايا وأجهزة الجسد.

والحقيقة السريرية تؤكد أن الضغط المتكرر بتكثيك ذكي على عقَد الأصابع أثناء التسبيح (سبحان الله) والتحميد (الحمد لله) ... والتكبير (الله أكبر) يعمل كتلقين حيوي لكافة الأجهزة.

هذا التكرار الحركي المنتظم يفعل ما يُعرف بـ (Tactile Biofeedback) أو التغذية الراجعة اللمسية التي تحفز خلايا الدماغ. وبهذه الحركات كأنكم ميكانيكياً ترسلون شحنات طاقة ونبضات طاهرة لـ تنظيف وتطهير أعضائكم الداخلية الحيوية (القلب .. الكلى .. الكبد .. المرارة .. البنكرياس .. العين .. والأذن) وبقية الخلايا العصبية لتعلن أن الله أكبر من كل شيء في الكون .



وبالتوازي مع ذلك فإن هذا الضغط الحركي يعتبر بمثابة مساج علاجي فطري، وتنشيط حيوي للدورة الدموية في كامل الجسم للجسم الخمول والكسل. حيث يساهم هذا التحفيز الطرف (Peripheral Stimulation) في تقليل هرمونات التوتر كالكورتيزول، ورفع كفاءة التدفق الدموي. ومن البصيرة الإيمانية، في الفلسفة الوجودية المؤمنة، كل ذرة في هذا الكون تسبح بحمد بارئها، والجسد الإنساني طاقة مادية مكثفة تحتزن الذاكرة. خلاياك وأجهزتك ليست صامتة، بل هي تسجل كل نبضة.

هذه الأنامل التي تضغط عليها لتذكر الله، تشحن خلاياها بنورانيات الطاعة، وستشهد لك بالأمان الكامل يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى في سورة النور:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النور: ٢٤]

الطب النفسي ولجسم الإدمان بمعجزة الذكر:

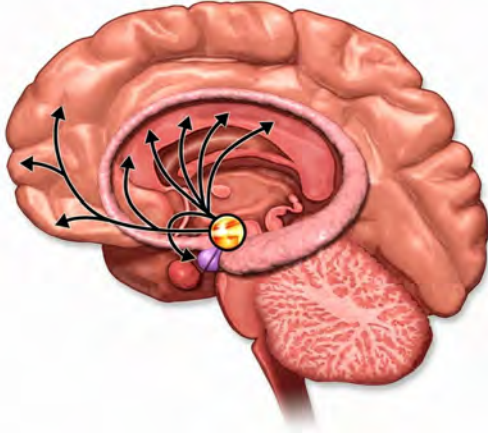
وهنا ننتقل إلى حقيقة إعجازية توصل إليها أستاذ ورئيس قسم الأمراض النفسية د. محمد حافظ الأطروني.. والتي تلخصها جملة سريرية ذهبية:

الذي يسبح لن يدمن،
والذي أدمن علاجه التسبيح!!

تخطيط كهربائية الدماغ (EEG)



مسار الدوبامين



حيث أثبتت الأبحاث العلمية أن ذكر الله بانتظام يعمل ميكانيكياً على تنظيم موجات المخ، ويوصل المرء إلى حالة التوازن النفسي الكامل والهدوء العصبي بدون مهدئات كيميائية ترهق البدن.

هذه الحالة تُسمى علمياً (Neuroplasticity & Brainwave Regulation)، حيث ينتقل الدماغ من موجات القلق (Beta) إلى موجات الاسترخاء العميق والوعي (Alpha & Theta waves).

تمنح الجلسات التسبحية المنتظمة يومياً، الجسد كفاية تامة للوقاية من السلوكيات الإدمانية.

ويفرز الذكر المنتظم هرمونات السعادة الطبيعية مثل

(Endorphins & Dopamine)، مما يقلل من تلف الدماغ للمؤثرات

الخارجية ويعزز نظام المكافأة الطبيعي في المخ (Brain Reward System).

دون الحاجة لعقاقير كيميائية تدمر الخلايا.

وقبل هذا العلم وذاك، فإن دستورنا الطبي والوقائي قد رسخه النبي ﷺ بقوله:

"عليكم بالتسبيح والتهليل والتقدّيس واعقدن بالأنامل
فإنهنّ مسؤولاتٌ مُستنطقاتٌ ولا تغفلن فتسنين الرحمة"

خلاصة الكلام،،، معجزة حركة أناملكم هي صيدلية ربانية مدفونة في أطراف أصابعكم تحتاج منا فقط إلى طرد العشوائية والالتزام بذكر لنعيش أحراراً وبكامل طاقتنا وحيويتنا جعلني الله وإياكم من المسبحين، الحامدين، والذاكرين الله كثيراً بوعي وبصيرة ناصعة. ولا تنسوا الصلاة على النبي. ودمتم بصحة وعافية.

تعليق "الإعجاز":

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد. نضيف إلى ما تفضل له د. محمد أمين زكي مشكوراً، أمرين نفسيين ينجمان عن اعتماد الأصابع في التسبيح، الأول: في أن لمس الأصابع تنبيه للإنسان إلى الفعل الذي يقوم به وحضه بطريقة التلقين على التركيز وعدم السهو، حتى لا يشرّد المسبّح بذهنه عن حقيقة التوجه إلى الله أثناء التسبيح. والأمر الثاني هو عملية التكرار لتثبيت الذكر في الأذهان وطردها جسد، كما جاء في طريقة "المعالجة العلمية الحديثة بالسلوك الإدراكي أو المعرفي" CBT Cognitive Behavior Therapy.

إعجاز القرآن الكريم

في قوله تعالى:

{لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوءًا
كَبِيرًا}

محمد فرشوخ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوءًا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)﴾.



﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا
(٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)

[سورة الاسراء]

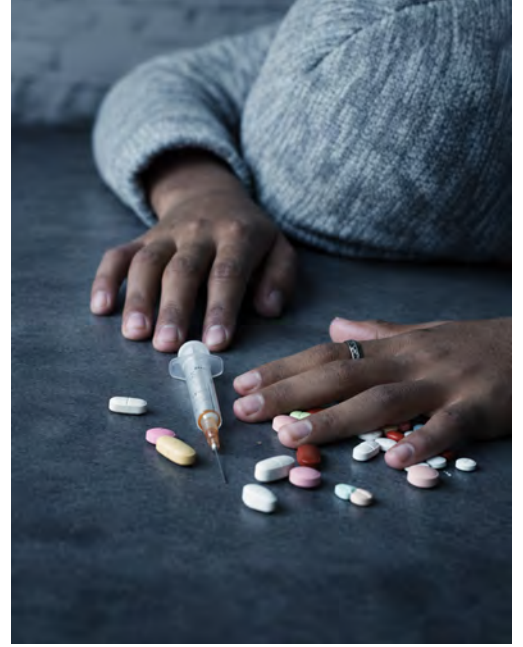


يعتبر هذا الموضوع من إعجازات القرآن الكريم، في الإخبار عما سيأتي من أحداث، ظهرت مؤثراته واضحة اعتباراً من القرن العاشر الميلادي، حين بدأت المدن والممالك المعروفة في ذلك الوقت تطرد هذه الطائفة وتنبذها نتيجة لسوء استغلالها للناس، ومن ذلك (ثم أخذت أحداثه تتوالى حتى ظهرت للعلن بكل وضوح، وصار يتبين لمختلف شعوب العالم وللأنظمة والحكومات والمنظمات، تبعاً ما حذّر منه القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]. ولن نقاش، كما سبقنا كثير من المفسرين، في تاريخ الإفساد الأول أو الثاني، ولا حاجة لشرح الآية السادسة، في قوله لهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]. فقد تحقق قول الله تعالى في ذلك وبات المفسدون مهيمنين على الأموال والثروات وأغلب التقنيات المتطورة، وصاروا مزودين بأحدث العتاد والسلاح القاتل المدمر.



إلى أن وجد الإنكليز حلاً لهذه المعضلة بالتخلص منهم عبر ترحيلهم إلى مناطق بعيدة عن أوروبا يتجمعون فيها وينفذون مآرب تخدم المستعمرين في مستعمراتهم التي كانت تدعى مناطق "الابتداب"، فقرر أن يحلوا في فلسطين، أكثر دول شرقي المتوسط ازدهاراً، والتي اتهموها زوراً بأنها لا شعب فيها ولا دولة.

ومنذ ذلك الوقت باتوا يتباهون بما حققوه ويكشفون عن مخططاتهم المستقبلية للسيطرة على الأرض، ونورد فيما يلي بعض ما بلغوه من الفساد والإفساد: نشر الرذيلة (الجنس والبغاء والشذوذ الذكوري والأنثوي والمخدرات) في أنحاء الأرض، وابتزاز زعماء وعلماء وشخصيات من كل بلاد العالم (إستين)، اللقاحات المشبوهة وخاصة للأطفال^(١)، نشر الأوبئة (الإيدز وإيبولا وغيرهما)، الحرائق المفتعلة للغابات وللحقول الزراعية في الدول النامية، التعديل الوراثي للقمح ولبقية المواد الغذائية، عبادة الشيطان وتقديم القرابين البشرية وخاصة الأطفال^(٢)، إثارة الحروب العالمية والإقليمية، الإطاحة بالحكومات الشرعية وتنصيب الدمى المطيعة، تخفيض عدد سكان الأرض واستعباد المليار الذهبي، سرقة المعادن الثمينة والسيطرة على ثروات الأرض (النفط والغاز) من معظم الدول، إشاعة ثقافة التفاهة عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل.



ولا بد من ملاحظتين قبل الشروع في تعداد الآثار المدمرة التي اعتمدها هذا الشعب، بحق أمم وشعوب كثيرة احتضنت هذه الطائفة وفتحت لها أبواب الاندماج لكنها قبلت بإنشاء "غيتوات" منزلة داخل المدن، تعد فيه المخططات وتحاك فيه المؤامرات، للسيطرة على اقتصاد البلد المضيف وافتعال الفتن، ونشر الرذيلة، وإفساد المجتمع وإلهاث عمال يحكون حوله من مؤامرات ودسائس للقبض بإحكام على مقاليد الأمور المالية والسياسية والاقتصادية. لدرجة أنهم طردوا أكثر من ثلاثين مرة من دول ومدن لجأوا إليها كان أهمها، من إنجلترا عام 1290م، ومن فرنسا عامي 1306 و1394، ومن إسبانيا عام 1492، ومن البرتغال عام 1497، ثم من عدة مدن فرنسية وإيطالية والمانية ونمساوية وصولاً إلى القرن العشرين.



تدمير القيم ومفاهيم الدين والأسرة (الهزء بالأب، والخروج عن طاعته، الأم العزباء، سفاح الأقارب)، نشر التعليم الجنسي في المدارس الابتدائية، الاستهزاء بالمعلم وبدوره في التوجيه السليم، الاستهزاء بالديانات ونشر الإلحاد، إدخال القمار والمراهقات بمسميات مختلفة حتى عبر الجوال، العملة الرقمية ومصادرة مدخرات الناس من المعادن الثمينة، إقامة الدولة العميقة وتحجيم نفوذ الدول، إنشاء المافيات وإطلاق يدها في العالم، صرف انتباه الشعوب عن السياسة وعن العلم وإشغالها بالرياضة والفنون، تصفية علماء الدين والدنيا الذين يرفضون التعاون معهم.



هذا عدا عن القتل المتعمد وبدم بارد ودون حساب او رادع او عقاب يستهدفون الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، في فلسطين وفي أي بلد آخر يطمعون فيه، ولا يأبهون برأي عام دولي ولا بحاكم دولية، وكأن الأرض كلها باتت في خدمة نزواتهم ومخططاتهم.

من عدل الله تعالى أنه رغم كل هذا الفساد فتح لهم باب التوبة والعودة إلى الضمير والعقل والخير، مرغباً ومتوعداً بقوله جلّ وعلا:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾
[الاسراء: ٧]

جل ما أوردناه هنا إظهار الإعجاز في تلك الآية الكريمة، وإثبات ذلك عبر تعداد مجالات الإفساد التي وصلوا إليها، تذكيراً وتنبيحاً لأصحاب القلوب الساذجة الذين يقفون من الأحداث والنوايا السيئة موقف الغنم في الحظيرة بانتظار ذبحها. وتنبيحاً للذين سمعوا قول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...) [الأنفال: 60]. فلم يُعِدُّوا لا بالعلم ولا بالبذل ولا بالتوعية وبقوا قاعدين متخاذلين.

الموضوع قديم في طقوسهم، ففي عام 1255م جرى اتهام يهود لينكولن بتعذيب وقتل طفل انجليزي في طقوس دينية. وقد اعتقل الملك هنري الثاني 93 من اليهود المحليين وأعدم 18 منهم

<https://www.bbc.com/arabic/world-49525609>



كسر عظم الميت ككسره حيًّا

إعجاز نبوي في علم بقاء الأنسجة بعد الموت

د. ميساء بنات (*)

حين يتوقف القلب عن النبض، ويهدأ الجسد سكوتاً لا رجعة فيه، يظن كثيرون أن الحياة قد انطفأت فيه دفعة واحدة، من الرأس إلى أخمص القدمين، في اللحظة نفسها. لكن الطب الحديث يكشف حقيقة مذهلة: الموت ليس لحظة واحدة، بل رحلة متدرجة تنسحب فيها الحياة من الجسد عضواً بعد عضو، وخلية بعد خلية. فبينما تفارق خلايا الدماغ الحياة خلال دقائق معدودة، تظل أنسجة أخرى كالعظام والجلد والقرنية نابضة بنشاط خلوي محدود لساعات، بل لأيام بعد إعلان الوفاة. وقبل أن يعرف الطب هذه الحقيقة بقرون طويلة، جاء رسول الله ﷺ بوصية نبوية دقيقة، أمر فيها أصحابه أن يعاملوا جسد الميت بالحرص والرفق نفسيهما اللذين يعاملون بهما الحي، وشبه أذية عظامه بأذية عظام الحي عينها. فهل كان في هذا التوجيه النبوي إشارة مبكرة إلى ما يثبت العلم اليوم عن استمرار الحياة الخلوية بعد الموت السريري؟

أولاً: الحقيقة العلمية — موت متدرّج لا موت لحظي

يُعرف الأطباء "الموت السريري" بأنه توقف نشاط القلب والتنفس، وهو ما يُعتمد طبياً وقانونياً لإعلان الوفاة. غير أن هذا التوقف لا يعني انطفاء الحياة في كل خلية من خلايا الجسد في اللحظة نفسها؛ فالأعضاء والأنسجة تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً في المدة التي تستطيع خلالها خلاياها الاستمرار في نشاطها الحيوي بعد توقف الدورة الدموية عنها، تبعاً لحاجتها إلى الأكسجين ومعدل أیضها الخلوي.

وتشير مصادر الطب الشرعي وطب زراعة الأعضاء إلى تفاوت واسع في هذه المدة، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- خلايا الدماغ: تتوقف عن العمل خلال دقائق معدودة من انقطاع الأكسجين عنها، لشدة حساسيتها

- عضلة القلب: قد تحتفظ ببعض نشاطها الخلوي لساعات قليلة بعد توقف نبضه

- الكبد والكلية: تبقى صالحة للزراعة لساعات تمتد أحياناً إلى ما يقارب اليوم إذا حُفظت بالطرق المناسبة

- القرنية: من أكثر الأنسجة قدرة على البقاء، إذ يمكن نزعها للزراعة بعد الوفاة بأيام

- الجلد والأنسجة الضامة: تحتفظ بحيويتها الخلوية لعشرات الساعات
- العظام: من أبطأ الأنسجة موتاً على الإطلاق؛ إذ تستمر خلاياها في نشاط أیضی منخفض لفترة تمتد إلى أيام، وتُستخدم طعوماً حية في الجراحة الترميمية بعد الوفاة بوقت طويل نسبياً.

المدة ①	العضو / النشجة
3 دقائق	الدماغ
ساعات	القلب
ساعات	الرئتان
8 - 12 ساعة	الكبد
24 - 48 ساعة	الكليتان
12 - 24 ساعة	البنكرياس
حتى أيام	القرنية (العينان)
أيام إلى سنوات	العظام والأوتار
24 - 48 ساعة	الجلد
ساعات	الأمعاء
حتى ساعات	نخاع العظم
15 - 30 دقيقة	الحبل الشوكي
حتى ساعات	عضلات القلب
سنوات	الأسنان
أيام إلى أسابيع	الفصاريغ
دقائق	الأذن الداخلية (القوقعة)
ساعات	خلايا الدم

وهذا التفاوت الزمني بين الأنسجة هو ما يعتمد عليه الطب الحديث كلياً في نجاح عمليات زراعة الأعضاء من المتوفين؛ إذ لا يمكن نزع عضو للزراع إلا خلال "النافذة الزمنية" التي تكون خلاياه فيها لا تزال حية وقادرة على العمل. والعظام تحديداً، بسبب انخفاض استقلالها الخلوي وقلة حاجتها إلى إمداد مستمر بالأوكسجين، تُعدّ من أكثر أنسجة الجسم قدرة على الاحتفاظ بحيويتها بعد ما يُعلن طبيياً أنه "الوفاة".

ثانياً: النص النبوي

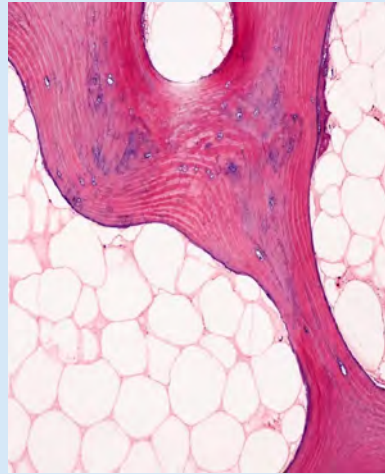
عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «كَسَرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا» (رواه أبو داود وابن ماجه)
هذا الحديث الشريف - على وجازة لفظه - يحمل توجيهاً تشريعياً دقيقاً: أن حرمة جسد المسلم لا تسقط بمفارقة الروح؛ فكما يحرم إيذاء العظم في جسد الحي، يحرم كسره أو العبث به في جسد الميت، بالدرجة نفسها من الحرمة والأذى. وقد بنى الفقهاء على هذا الحديث جملة من الأحكام، منها: النهي عن كسر عظام الميت عند غسله أو تكفينه أو دفنه إلا لضرورة، ووجوب الرفق به، وتحريم المثلة بجهته.

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله ﷺ: «لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ» (رواه البخاري)
فالنهي عن سب الموتى، وتحريم كسر عظامهم، كلاهما يصب في أصل واحد: أن كرامة الإنسان المسلم ممتدة بعد موته، وأن جسده يستحق من الاحترام والرفق ما كان يستحقه وهو حي.

ثالثاً: وجه الإعجاز

حين تتأمل في هذا الحديث النبوي الوجيز، ونقارنه بما يكشفه العلم اليوم عن استمرار النشاط الخلوي في الأنسجة - وبخاصة العظام - لساعات وأيام بعد الوفاة السريرية، يتجلى وجه الإعجاز في أكثر من زاوية:

- دقة التشبيه لا مجرد الأدب: لم يقل النبي ﷺ "احترموا جسد الميت لأنه صار جماداً لا يتأذى"، بل ساوى صراحة بين أذى عظم الميت وأذى عظم الحي، وكأنه يخبر أن في هذا الجسد بقية حياة لم تنقطع بعد.
- اختيار العظم بالذات: من بين كل أعضاء الجسد، خصّ الحديث العظم بالذكر، وهو - كما يثبت العلم اليوم - من أبطأ الأنسجة موتاً وأطولها احتفاظاً بنشاطها الخلوي بعد الوفاة السريرية، وهي حقيقة لم يكن ممكناً لبشر إدراكها بالعين المجردة أو بأية وسيلة قبل أربعة عشر قرناً.
- التطبيق مع الممارسة الطبية المعاصرة: اعتماد الطب الحديث على العظام والقرنية والأنسجة الضامة كطعوم حية بعد الوفاة بساعات أو أيام يؤكد عملياً ما أشار إليه الحديث من استمرار "حياة" جزئية في الجسد بعد إعلان موته.



الخاتمة

إن حديث كسر عظم الميت ككسره حياً، يعلمنا أن حرمة الإنسان لا تنتهي بانقطاع نفسه الأخير، وأن جسده الذي حمل الروح يبقى له قدر واحترام؛ تشريعاً سبق العلم الحديث بقرون طويلة إلى إدراك أن الموت تدرّج لا لحظة، وأن الحياة تنسحب من الجسد رويداً رويداً.

وفي عصرنا هذا، الذي تُثار فيه أسئلة طبية وأخلاقية حساسة حول التعامل مع جثامين الموتى - من التشريح إلى نزع الأعضاء للزراعة - تبقى هذه الوصية النبوية منارة تذكّرنا بأن الرفق بالميت واجب شرعي وأخلاقي لا يسقط، وأن كل تقدم علمي جديد إنما يكشف طبقة أخرى من عظمة هذا الدين ودقة تشريعه. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[فصلت: ٥٣]

(*) أستاذ مساعد في جامعة رفيق الحريري، من أسرة تحرير مجلة الإعجاز.

المصادر:

- سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يكسره.
 سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن كسر عظام الميت.
 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عنه من سب الأموات.
 ابن قدامة المقدسي، المغني، كتاب الجنائز، أحكام غسل الميت والرفق به.
 الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة "حرمة الميت" ومادة "كسر العظم".
 النووي، المجموع شرح المذهب، كتاب الجنائز، باب في وجوب الرفق بالميت واحترام جسده.
 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز.

U.S. Department of Health & Human Services, organdonor.gov — "What Can Be Donated", on tissue recovery timeframes after death.

Eye Bank Association of America (EBAA), restoresight.org — FAQs on corneal preservation and viability windows.

EyeWiki (American Academy of Ophthalmology) — "Corneal Donation", on post-mortem time and preservation limits.

"فاذا غضب أحدكم فليتوضأ"

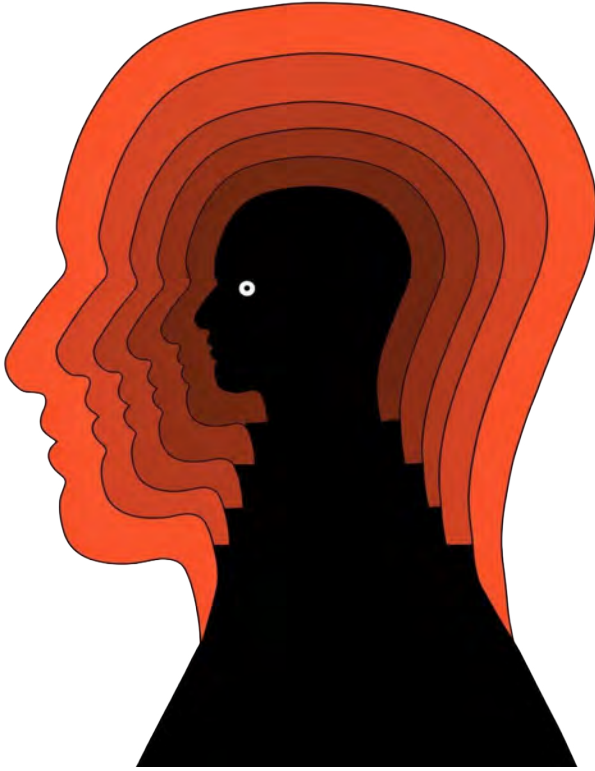
(إعجاز نبوي)

محمد حسام عيتاني (*)

ليس الغضب مجرد شعور عابر، بل قد يحدث
توتراً في معظم أعضاء الجسم الظاهرة منها
والباطنة. وتوضح منشورات هارفارد للصحة أن هذه
الاستجابة نشأت أصلاً كآلية للبقاء على قيد الحياة، تُهيئ
الإنسان إما لمواجهة الخطر أو للفرار منه. فحين يستشعر
الدماغ تهديداً ما، تُرسل اللوزة الدماغية إشارة إنذار إلى
منطقة تحت المهاد، فتُنشّط بدورها الجهاز العصبي الودي.
عندئذ تُفرز الغدد الكظرية هرمون الأدرينالين، فيتسارع
نبض القلب والتنفس، ويرتفع ضغط الدم، وتنطلق الطاقة
المخزّنة في الجسم إلى مجرى الدم. وإذا استمر الدماغ في إدراك
الخطر، يلجأ الجسم إلى إفراز هرمون الكورتيزول ليبقى في
حالة تأهب واستعداد للفعل.

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ
الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.»

كيف يغيّر الغضب التفكير والتصرف؟



عندما يغضب الإنسان، يدخل جسده في حالة من الاستنفار، وترتفع مستويات هرمونات التوتر، مثل الأدرينالين والكورتيزول. وهذه الاستجابة مفيدة عند مواجهة خطر حقيقي، لكنها قد تؤثر أيضاً في طريقة التصرف أثناء نقاش أو خلافٍ شخصي. ويضيق عند ذلك مجال الانتباه، فيتركز التفكير على الإساءة التي شعر بها الإنسان. وعندها، يصعب عليه الاستماع بهدوء، أو فهم نية الطرف الآخر.



حين يسيطر الغضب

قد يأتي الغضب في لحظة. تتسارع فيها ضربات القلب، وتتوتر العضلات، ويشعر الإنسان بحرارة في وجهه، وقد يرتفع صوته دون أن يتنبّه لذلك. وقد يشعر فجأة بأنه مضطر للدفاع عن نفسه، أو لرد الإساءة، أو لاتخاذ موقف فوري غير مدروس.

والغضب شعور إنساني طبيعي، فهو ينبّه الإنسان إلى ظلم أو إساءة أو خطر أو إحباط. لكن الاختبار الحقيقي يبدأ فيما يختاره بعد ذلك. فإذا ترك الغضب من دون ضبط، قد يحول شعوراً عابراً إلى كلمات جارحة، وإلى علاقات متضررة، وقرارات يندم عليها الإنسان لاحقاً. وقد وضع رسول الله ﷺ تعريفاً عميقاً للقوة فقال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾.

فالقوة في المنظور الإسلامي لا تظهر في قدرة الإنسان على التغلب على غيره، بل في قدرته على ضبط نفسه حين يدفعه الغضب إلى فقدان السيطرة.

وقد يقول كلاماً عادياً لكن بمعنى آخر ولربما جاء عدوانياً، أو تحدث بطريقة أقسى مما أراد، وقد يتخذ قراراً طائشاً لإرضاء غضبه في تلك اللحظة. ولا يعني ذلك أن الغضب يعني الإنسان من المسؤولية، وقد مدح الله تعالى الذين لا يستسلمون للغضب فقال جلّ وعلا:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٤].

فالآية لا تعني الناس الذين لا يعترضهم الغضب، وإنما تمدح الذي يكظم غيظه حين يشعر به، فلا يتركه ولا يترك الغضب يقود تصرفاته، بل يختار العفو والإحسان.

ماذا يحصل أثناء الوضوء

من أخطر ما في الغضب أنه يستعجل صاحبه. فهو يدفع الإنسان إلى الرد الفوري، أما الوضوء فيمنحه فرصة لضبط المشاعر وردود الفعل والتصرفات.

فعندما يتوجه الإنسان إلى الوضوء، يبتعد عن أجواء الخلاف، ويتجه إلى الماء، ثم يبدأ باتباع خطوات هادئة ومألوفة: غسل الكفين، والمضمضة والاستنشاق، وغسل الوجه والذراعين، ومسح الرأس والأذنين، ثم غسل القدمين. ويتخلل الوضوء المادي بعض الأدعية التي تعلمناها من رسول الله ﷺ مما يوجه الانتباه للتوكل على الله، ويصرف الإنسان عن مشكلته القائمة إلى ما هو أعلى وأهم وأجل، وهو تعهد الصلة بالله من جهة، والتفكير بحسن المصير من جهة ثانية.

وحتى قبل النظر في أي أثر جسدي محتمل للماء، فإن هذه الخطوات تقطع اندفاع الغضب وتمنح الإنسان وقتاً ليستعيد هدوءه. وبمجرد انصرافه إلى الوضوء، فإنه يخرج مؤقتاً من أجواء المواجهة. فينتقل انتباهه من الإساءة التي تعرض لها إلى عبادة يؤديها استعداداً للوقوف بين يدي الله تعالى. كما تنتقل جوارحه من الاستعداد للرد أو الإساءة إلى أداء فعل من أفعال الطهارة. وقد بين القرآن الكريم صفة الوضوء بقول الله تعالى:

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[المائدة: ٦]



فالوضوء ليس مجرد غسل
لأعضاء الجسد، بل هو عبادةٌ
تجمع بين الطهارة والطاعة
والاستعداد للصلاة. وفي لحظة
الغضب، قد يكون لهذا التحول
في الاتجاه أثراً عميقاً.

هدي النبي ﷺ عند الغضب

أرشد النبي ﷺ إلى وسائل روحية تساعد الإنسان عندما يشتد غضبه. فعندما: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، جَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفَخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ...» (٢)

«إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» (٣).

ويغيّر هذا التوجيه النبوي وجهة انتباه الإنسان. فبدلاً من الاستمرار في التفكير في الإساءة، يذكر الله ويلجأ إليه طالباً الحماية. كما ورد في رواية أبي داود، في سننه، تربط بين الغضب والوضوء، جاء فيها أن رسول الله ﷺ قال:

يقدم هذان الحديثان الشريفان صورتين علميتين، الأولى تربوية وروحية واضحة: الغضب يشبه ناراً تشتعل داخل الإنسان، ويأتي الماء ليطفئها. والحكمة العملية في التوجيه واضحة: يتوقف الإنسان، ويتعدى عن الخلاف، ويتجه إلى الله، ويتوضأ قبل أن يقرر ما سيقوله أو سيفعله.

وأما الصورة العلمية الثانية فهي تخفيف احتقان الدم في الرأس والعنق وانتفاخ أوداجه كما ورد في الحديث الشريف الأسبق، والأوداج «هي مَا أَحَاطَ بِالعُنُقِ مِنَ العُرُوقِ» (٤). عبر تبريدها وعبر استدعاء الدم من أعلى الجسم إلى الأطراف نتيجة تعرضها الطارئ للماء عند غسلها. لأن تدليك الأعضاء وغسلها يؤدي إلى تحفيز تدفق الدم في الأوعية الدموية الطرفية (٥).



تأثير المياه الباردة على الجسم



يخفض الماء هرمون الكورتيزول أو يعالج القلق عند الانسان. جاء ذلك عبر دراسات متعلقة بتبريد الوجه، تبينت منها ملاحظة فسيولوجية مثيرة للاهتمام. ففي دراسة نُشرت عام ٢٠٢٢، استعان الباحثون بـ ٢٨ شاباً وشابة من الأصحاء، واعتمد التحليل النهائي على بيانات ٢٥ منهم. وأدى المشاركون مهمة مخبرية صُممت لإحداث توتر نفسي حاد. وخلال فترات محددة من المهمة، استراحت مجموعة من المشاركين، بينما خضعت المجموعة الأخرى لما يُعرف بـ "اختبار الوجه البارد" وفي هذا الاختبار، وُضع قناع تبريد بدرجة حرارة تقارب درجة واحدة مئوية تحت الصفر على معظم الوجه لمدة دقيقتين، وتكررت العملية ثلاث مرات.

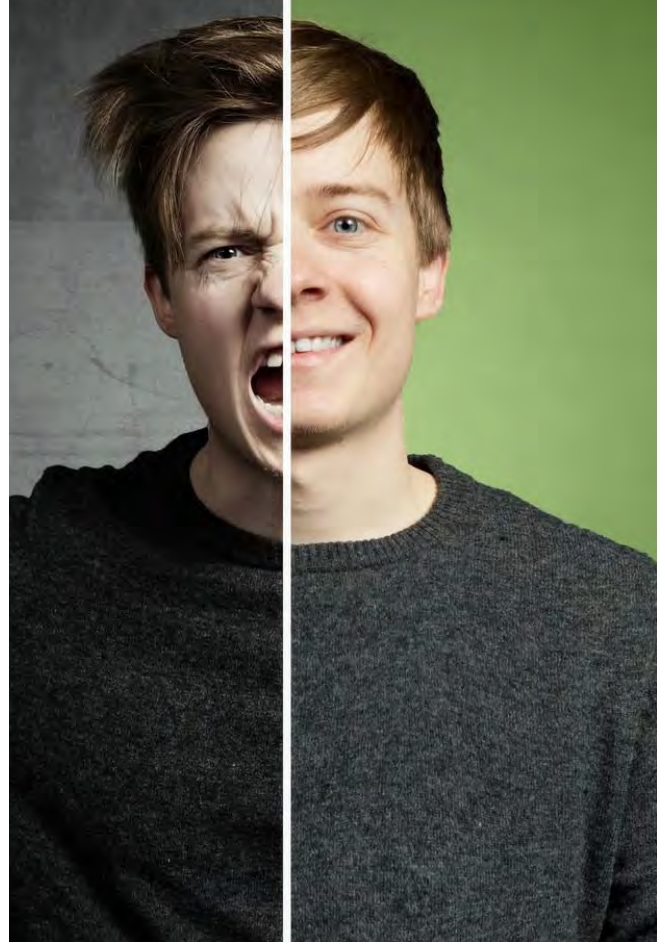
تعرض أفراد المجموعتين للتوتر ذاته أثناء الاختبار، لكن مجموعة تبريد الوجه أظهرت تعافياً أفضل في بعض مؤشرات نبض القلب، كما كانت استجابة الكورتيزول لديها أفضل، فجاءت نسبة الكورتيزول متدنية مقارنة بالمجموعة الأخرى.

وفسّر الباحثون النتائج على أنها مؤشر إلى تنشيط الجهاز العصبي نظير الودي (Parasympathetic nervous system)، المرتبط بالعصب المبهم (Vagus Nerve)، والذي يساهم في مساعدة الجسم على الانتقال من حالة الاستنفار إلى مرحلة التعافي. نستنتج من هذه التجربة أن تبريد الوجه قد يؤثر في بعض الأنظمة المسؤولة عن استجابة الجسم للتوتر. وتمنح هذه النتيجة خلفية فسيولوجية مثيرة للاهتمام عند قراءة التوجيه النبوي الذي مفاده أن الوضوء يخفف الغضب ومفاعيله.

الخلاصة: من الغضب إلى ضبط النفس

ليست الغاية من ضبط الغضب أن يشعر الإنسان بالراحة فحسب، بل أن يمنح غضبه من دفعه إلى الظلم، وأن يمنح نفسه فرصة لاختيار رد فعل أفضل. وقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وقد لا يكون العفو سهلاً أو فورياً. كما أن ضبط الغضب لا يعني قبول الإساءة أو تجاهل الظلم، وإنما يعني ألا يسمح الإنسان لحرارة اللحظة بأن تتحكم في سلوكه. فالغضب يدفع الإنسان إلى التصرف فوراً، أما الضوء فيدعوه إلى التمهّل. وهو يبعد الجسم عن المواجهة، ويوجه القلب إلى الله، ويمنح العقل وقتاً ليستعيد توازنه قبل أن تتحول الكلمات إلى جروح. ختاماً، يقدم العلم إشارة محدودة لكنها مثيرة للاهتمام إلى أن تبريد الوجه (وكذلك الأطراف) قد يؤثر في تخفيف استجابة الجسم للتوتر. أما الهدي الإسلامي فيقدم معنىً أوسع؛ إذ يجمع الضوء بين القلب والعقل والروح ليؤثر على الجسم وعلى الخلق. وفي المسافة القصيرة بين اشتعال الغضب وصدور الفعل، قد يمنح الضوء للمؤمن فرصة ليختار التروي بدل الاندفاع، وضبط النفس بدل الندم.



﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

[الشورى: ٣٧]

(*) من أصدقاء منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان

المصادر:

1: «صحيح البخاري» (8 / 28 ط السلطانية) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2: «صحيح مسلم» (8 / 30 ط التركية) عَنْ سُليمانَ بْنِ صُرَدٍ.

3: «سنن أبي داود» (4 / 249 ت محيي الدين عبد الحميد) عَنْ عَطِيَّةَ.

4: «لسان العرب» (2 / 397)

5: مجلة منار الهدى، العدد 256، في رحاب الطب النبوي

Richer, R., Zenkner, J., Küderle, A., Rohleder, N., & Eskofier, B. M. (2022). "Vagus activation by Cold Face Test reduces acute psychosocial stress responses." Scientific Reports, 12, 19270.

<https://doi.org/10.1038/s41598-022-23222-9>

عزيزي القارئ

إذا وجدت مضمون المجلة مفيداً، شاركنا بتعميمها
(عبر الإيميل أو الواتس أب)، على من يهتمك أمرهم من
أهل ومعارف، عسى أن يكون لك فيها أجر بتعميم
المعرفة وبتذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى:
{كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥)}
[سورة المدثر].



التفسير الطبي لقوله

قال الله تعالى في سورة يونس:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾

تعالى
﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ﴾

تقييم حالة الوعي عند الانسان

د. صبحي شوقي زردق*

تفسير السعدي: يقول تعالى - مبيناً عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله- {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ} أي: يبتدئه {ثُمَّ يُعِيدُهُ} وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، {قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} من غير مشارك ولا معاون له على ذلك. {فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ} أي: تصرفون، وتخرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى

عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون. {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} بيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه. {قُلْ اللَّهُ} وحده {يَهْدِي لِلْحَقِّ} بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق. {أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي} أي: لا يهتدي {إِلَّا أَنْ يُهْدَى} لعدم علمه، ولضلاله، وهي شركاؤهم، التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدي {فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} أي: أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان، أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده.

الحقائق العلمية

حدد علماء الطب النفسي مجموعة من العناصر يستطيع الطبيب من خلالها تقييم الحالة النفسية للإنسان واختبار قوته العقلية، هذه العناصر تتلخص فيما يلي: المظهر العام، الكلام، المزاج وتعبيرات الوجه، التفكير (الشكل والمحتوى)، الإدراك (الحواس الخمس)، الوعي Sensorium.

ومن خلال الوعي نستطيع تقييم العديد من الوظائف المعرفية لدى الشخص، وكقاعدة عامة فإن سلامة "حالة الوعي" Sensorium تعكس دائماً سلامة الجهاز العصبي المركزي ككل، وهنا تكمن أهميتها... وقد حدد العلماء مجموعة عناصر نستطيع من خلالها تقييم حالة الوعي وهي: درجة اليقظة Alertness، الاهتمام (للزمان، والمكان، والأشخاص) Orientation، التركيز والقدرة الحسابية Concen- tration and calculation، الذاكرة (البعيدة، الحديثة، الفورية) Memory، المخزون المعرفي، التفكير المجرد Abstract thinking، الإستبصار Insight، الحكم المنطقي على الأمور Judgment.

الحكم على الأمور Judgment

الحكم المنطقي على الأمور هو إحدى القوى العقلية والتي تشكل جزءاً من حالة الوعي لدى الإنسان، ويُعرف علماء الطب النفسي "الحكم على الأمور" Judgment بأنه: قدرة الفرد على فهم العلاقة بين الحقائق المختلفة مع القدرة على الخلوص إلى استنتاج عام، مثال ذلك: استجابات الفرد في المواقف الاجتماعية المختلفة... وطبياً تكون قدرة "الحكم على الأمور" "متدهورة بشدة في حالات مرضية مثل حالات الهوس (الاضطراب ثنائي القطب) ولدى مرضى خرف الشيخوخة Dementia، ومرضى الهذيان الحاد Delirium... والحكم على الأمور هو الوظيفة العقلية التي يتم اختبارها في الطب النفسي من خلال سؤال يطرحه الطبيب النفسي مثل: ماذا تفعل إذا وجدت خطاب مختوم كُتب عليه عنوان شخص ما؟ ويُعرف آخرون "الحكم على الأمور" Judgment على أنه: العملية التي تتضمن التحول من حالة الحيرة والتردد إلى حالة الاستقرار واختيار أمر دون الباقي... ولكي تتم عملية "الحكم على الأمور" لابد من المرور بخمس مراحل:

4- التشاور حول أمثل وأنسب الاختيارات.

5- الخلوص إلى اختيار محدد والالتزام به.

1- تقييم الموقف وتقدير التحدي المطروح.

2- البحث عن جميع البدائل ووضعها نصب العين.

3- تقييم وزنة كل بديل على حدة.



منطقة الحكم على الأمور بالمنح

أين تقع المنطقة الخاصة بـ "الحكم على الأمور" Judgment في المنح؟ ... يُعد الفص الجبهي للمنح Frontal lobe (الناصية) ضروري للمستويات المرتفعة من التبرير والحكم على الأمور، وذلك بجوار ما للفص الجبهي من وظائف أخرى مثل: الانتباه والتركيز، مراقبة الذات، التنظيم، التخطيط، المرونة العقلية، سمات الشخصية، النطق، بدء الحركة والتخطيط لها، تثبيط السلوك غير المرغوب، الوعي لما لدينا من قدرات ومزايا، وكذلك الوعي لما لدينا من قصور وعيوب، الإحساس بالمشاعر، حل المشكلات ... وتدمير ذلك الفص يسبب فقدان التحفظ Disinhibition، الاندفاعية، فقدان القدرة على التبرير، واللامبالاة.

و"الحكم على الأمور" Judgment هو عملية تتكون بوجه عام من جزئين أساسيين، الأول هو: الوعي الذهني والمتمثل في القرار الذي يتم اختياره، والثاني هو: الإجراء المأخوذ سواء بالقول أو الفعل تبعاً لذلك الاختيار ... وبيّن العلماء أن الحكم الصائب على الأمور Judgment لكي يتحقق لابد من توافر عدة شروط وعوامل في الشخص هي: الذكاء، الإدراك الصحيح لكل المنبهات الداخلية والخارجية، امتلاك القدرة على فهم الأفكار والربط بينها، سلامة القدرات المعرفية لدى الشخص، امتلاك القدرة على التحكم في الدوافع والنزعات، غياب التغيرات الشديدة في المزاج، امتلاك القدرة على التفكير المجرد Abstract thinking. وسوء الحكم على الأمور Judgment Impaired لدى الناس له دلائل ومؤشرات تُعرف من خلال أفعال مثل: التصرف باندفاعية، الإتيان بأفعال تحمل احتمالية كبيرة لعواقب مدمرة مثل قيادة السيارة بشكل متهور، السلوك الجنسي المندفع، السرقة، الاعتداء الجسدي على الآخرين.

التفسير الطبي للآية

في قوله تعالى (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) [يونس])، تعجب واستنكار وتوبيخ لهؤلاء المشركين إذ قررت عقولهم أن يختاروا وأن يتبعوا من لا يخلق ومن لا يهدي (وهم شركاؤهم)، بدلاً من أن يختاروا من يخلق ومن يهدي إلى الحق والرشاد وهو الله رب العالمين ... وفي ذلك نقصان وخلل كبيران في عقولهم وتحديداً في قدرة من قدراتهم وقوة من قواهم العقلية هي قوة "الحكم المنطقي على الأمور" Judgment" والمعروفة في الطب النفسي على أنها أحد نقاط الفحص العقلي والنفسي للإنسان، وأنها القدرة المسؤولة عن اتخاذ القرارات وتنفيذ ما تم اختياره بالقول أو بالفعل ... وكأن المولى عز وجل يقول لهم: أسفاً عليكم .. ما لكم لا تستعملون ما وضعته في عقولكم وأدمغتكم من قدرة على "الحكم على الأمور"؟ ما لكم لا تستعملون تلك الملكة في اختيار الأحق بالعبادة؟ فالأدلة العقلية المنطقية واضحة لمن يعقل، فأنا من يخلق وأنا من يهدي ... فكيف تختارون وتعبدون من لا يخلق ولا يهدي وتركون من يخلق ويهدي ...؟ أم هو النقص والخلل في عقولكم.. فلو كانت عقولكم سليمة لاتبعتم من يخلق ويهدي إلى الحق ولتركتهم ونبذتم من لا يستطيع ذلك ... فأين أفهامكم وقدرتكم على "الحكم على الأمور" التي جعلتها من قواكم العقلية لتستعينوا دائماً ما هو أحق ...؟

ولكن طبيياً ما الذي أوقعهم في ذلك الخلل
العقلي ... خلل الحكم الصائب على الأمور؟



بناءً على الحقائق العلمية السابقة فإن هناك شروطاً لتحقيق الحكم الصائب والمنطقي على الأمور منها عدم وجود تغيرات شديدة بالمزاج وامتلاك القدرة على التفكير المتجرد Abstract thinking ... ولكن بسبب ما يحمله المشركون في صدورهم من عداً وكراهية شديدة، معروفة للإسلام والمسلمين فسوف تؤثر تلك الكراهية الشديدة بالسلب على أمرجة هؤلاء المشركين وسوف تجعلهم مفتقدين إلى التفكير المتجرد Abstract thinking من المشاعر، وهو ما أثر في النهاية على قدرتهم على الحكم المنطقي على الأمور "Judgment" المتمركزة في الفص الجبهي للمخ (الناصية)، وهو ما أثر سلباً على اختيارهم وقرارهم بأن يعبدوا من لا يخلق شيئاً ولا يهدي، وأن يتركوا الذي خلق ثم هدى وهو رب العالمين ... فأبي حكم هذا ...

الخلاصة

فَمَا لَكُمْ

كَيْفَ

تَتَكُمُونَ

الحكم على الأمور Judgment هو إحدى القدرات العقلية التي تمكن الإنسان من اتخاذ قرار واختيار الأمثل من متعدد والعمل بذلك الاختيار، وهي وظيفة مركزها الفص الجبهي للمخ (الناصية) ... وباختيار المشركين وعبادتهم لمن لا يخلق ولا يهدي إلا أن يهدي تكون وظيفة "الحكم على الأمور" لديهم ضعيفة أو معطلة، وهو ما تعجب منه المولى عز وجل مستنكراً عليهم ذلك الحكم والاختيار غير الصائب والناشئ عن بغضهم الشديد للإسلام والمسلمين في قوله

(قَالَ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)) [يونس]، رغم وجود الأدلة العقلية على كونه الأحق بالعبادة، فهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو الذي يهدي إلى الحق، فأين العقول؟ وأي حكم ضالّ هذا؟

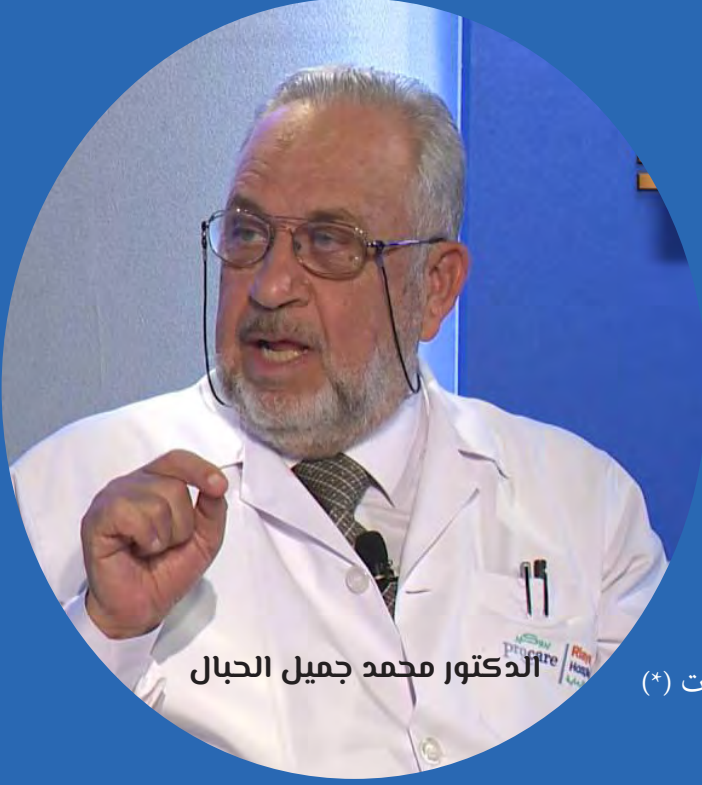
(*) كلية طب الإسكندرية – مصر. وعلى الراغبين متابعة البحث كاملاً مع المراجع التواصل مع المؤلف

dr.sobhyzordok@gmail.com

Kaplan and sadock's pocket handbook of clinical psychiatry –fourth edition.

<https://www.biausa.org/brain-injury/about-brain-injury/basics/function-of-the-brain>

Brain calipers



الدكتور محمد جميل الحبال

إعداد وتحرير: د. ميساء بنات (*)

الرضاعة من غير الأم

من "أخوة" شرعية

إلى علاج طبي لمرضى

الباحثون:

محمد جميل الحبال، نبيل نجيب فاضل،

يسرى أحمد الحياي

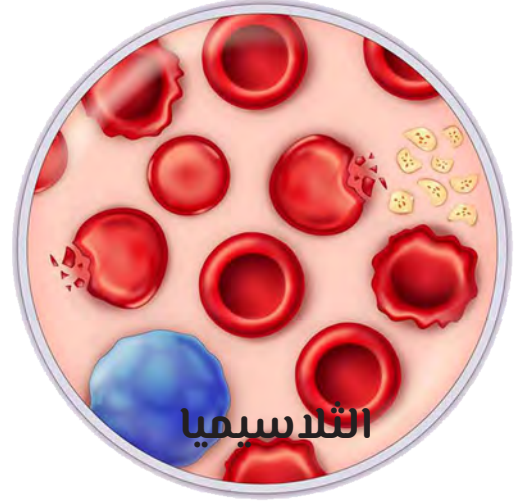
محمد جواد النعيمي، مقداد الجواري

سبق لمجلتنا "الإعجاز" أن تناولت حكمة الله في تحريم زواج الإخوة من الرضاع، وكيف كشف العلم الحديث أن حليب الأم يحمل جزيئات دقيقة قادرة على إحداث تشابه بيولوجي حقيقي بين الرضعاء من امرأة واحدة، بما يبرر مساواة الشرع بين الرضاع والنسب في التحريم. واليوم، يأخذنا فريق بحثي عراقي إلى خطوة أبعد من ذلك بكثير: فبدل أن يكتفي بتفسير حكمة تحريم قائم، طرح هؤلاء الباحثون سؤالاً جريئاً: ما دام حليب المرضعة غير الأم قادراً على خلق رابطة بيولوجية حقيقية بين الرضع، فهل يمكن توظيف هذه الحقيقة نفسها في علاج مرض وراثي خطير؟

هذا بالضبط ما فعله فريق من الأطباء والباحثين العراقيين، برئاسة الدكتور محمد جميل الحبال، أستاذ الطب الباطني واستشاري أمراض الكلى، وبمشاركة نخبة من استشاريي الغدد الصم وطب الأطفال والعلوم الطبية الحيوية، في دراسة سريرية أولية أجريت في مركز التلاسيما بحافظة نينوى في العراق، ونُشرت بعد حصولها على الموافقة الأخلاقية والعلمية من دائرة صحة نينوى. وقد استلهم الباحثون فرضية بحثهم كما صرحوا صراحة في بحثهم من التعاليم الإسلامية ومن ممارسة اجتماعية موروثية في مدينة الموصل، إذ كانت الجدات يُوصين الأمهات اللواتي يفقدن مواليدهن مراراً لأسباب مجهولة بألا يُرضعن أطفالهن التالين، وأن يُعهد بإرضاعهم إلى نساء أخريات، فكان الأطفال ينجون. وهذا المقال عرض أمين لهذا البحث المهم، حفظاً لحق أصحابه في نسبته إليهم، وإسهاماً في نشر هذه البشري الطبية بين القراء.

عرض الحقيقة العلمية

ما هي الثلاسيميا الكبرى؟



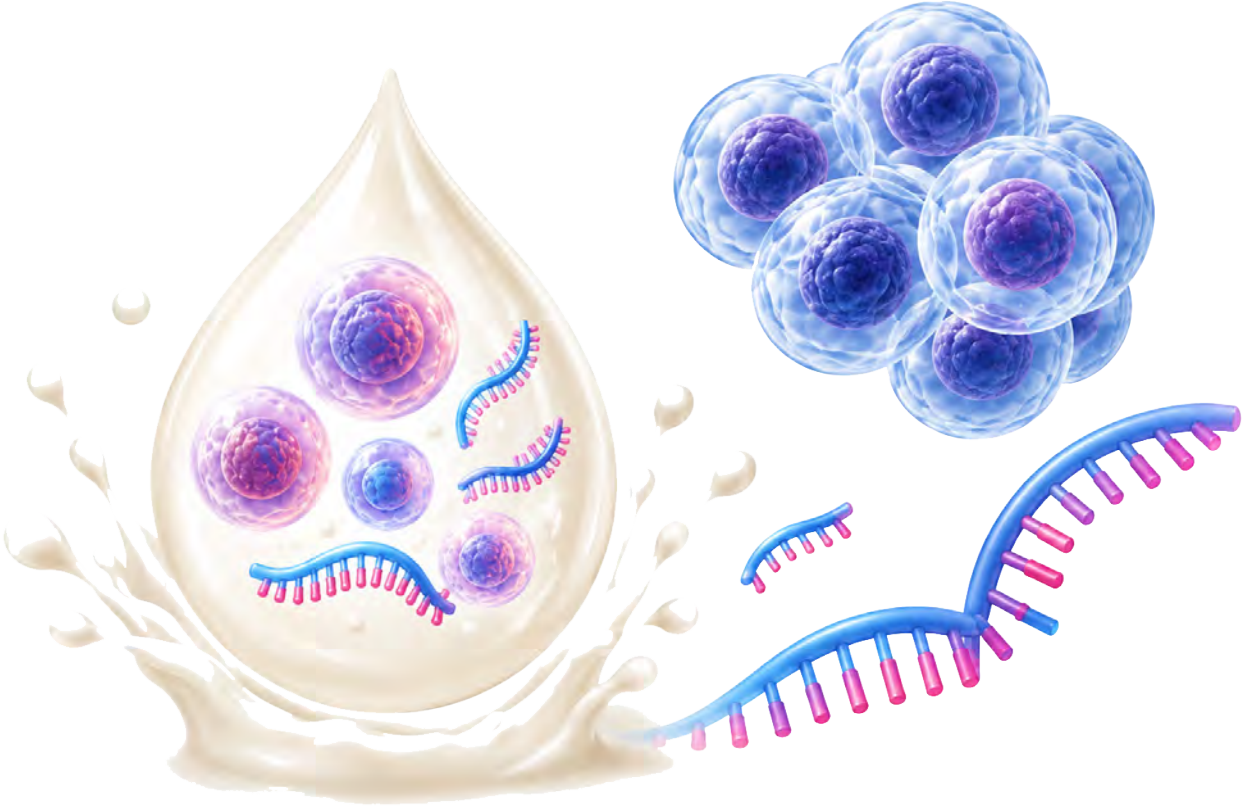
الثلاسيميا بيتا الكبرى (المعروفة أيضاً بفقر دم كولي أو فقر دم البحر المتوسط) مرضٌ وراثي خطير، ينتج عن طفرات جينية شديدة تُعطل قدرة الجسم على تصنيع بروتين "بيتا غلوبين"، وهو أحد المكوّنات الأساسيين لجزيء الهيموغلوبين الذي يحمل الأكسجين في خلايا الدم الحمراء. وحين يغيب هذا البروتين أو ينדר إنتاجه، يُصاب الطفل بفقر دم حاد يهدد حياته إن لم يُعالج، ويحتاج إلى نقل دم متكرر مدى الحياة (كل ثلاثة إلى أربعة أسابيع في الحالات الشديدة)، إلى جانب علاج مكلف لطرح الحديد الزائد المتراكم من كثرة نقل الدم. أما الخياران الجذريان -زرع نخاع العظم والعلاج الجيني- فيقتان محدودَي التوافر، مكلفين للغاية، ويحتاجان تدخلاً جراحياً ومراكز طبية عالية التخصص لا تتوافر إلا في القليل من الدول.

الخلايا الجذعية والميكرو رنا في حليب الأم: ليست "مجرد غذاء"

منذ عام ٢٠١٠ تقريباً، بدأ العلماء يكتشفون أن حليب الثدي البشري ليس مجرد مزيج من العناصر الغذائية، بل هو سائل حيوي معقد يحتوي على خلايا جذعية حية من أنواع متعددة، من أبرزها الخلايا الجذعية المكوّنة للدم (HSCs) القادرة على التمايز إلى خلايا دم متنوعة، والخلايا الجذعية اللحمية التي تدعم بيئة تكوين الدم في نخاع العظم. والأعجب من ذلك أن هذه الخلايا أثبتت الأبحاث

الحديثة قدرتها على مقاومة التلف الذي تُحدثه العصارة المعدية، واجتياز الحاجز المعوي إلى الدورة الدموية العامة، ثم الوصول إلى مختلف أعضاء جسم الرضيع والاندماج فيها فعلياً.

يضاف إلى ذلك اكتشاف جزيئات "الميكرو رنا" (microRNA) التي استعرضته المجلة سابقاً بمناسبة الحديث عن تحريم زواج إخوة الرضاع: فحليب الأم يحتوي على أكثر من ٦٠٠ نوع مختلف من هذه الجزيئات المنظمة للجينات، وهي شديدة الثبات، تقاوم التحلل في المعدة، وتمتص عبر خلايا الأمعاء، ولها تأثيرات قصيرة المدى على التعبير الجيني، وأخرى طويلة المدى قد تستمر لسنوات بعد التوقف عن الرضاعة.



الفرضية: هل يمكن لحليب مرضعة سليمة أن يخفف الثلاثيميا؟

انطلاقاً من هاتين الحقيقتين -الخلايا الجذعية والميكرو رنا- اقترح فريق الحبال أن حليب مرضعة سليمة غير الأم، حين يُقدّم لرضيع مصاب بالثلاثيميا الكبرى، قد يحدث أثراً علاجياً عبر آليتين محتملتين: الأولى دخول خلايا جذعية دموية سليمة إلى نخاع عظم الرضيع لتبدأ بإنتاج خلايا دم حمراء سليمة إلى جانب خلايا الرضيع الأصلية المعتلة، وهي ظاهرة تُعرف علمياً بـ"الكائيرية الدقيقة"

(micro-chimerism). أما الآلية الثانية فهي تعديل التعبير عن الجين المعطوب عبر التأثير اللاجيني (فوق الجيني) لجزيئات الميكرو رنا، بما يرفع نسبة "الهيموغلوبين الجنيني" (HbF) -وهو نوع بديل من الهيموغلوبين لا يحتاج إلى بيتا غلوبين- ليعوّض جزئياً عن النقص الحاد في الهيموغلوبين الطبيعي.

التجربة والنتائج

طلب من عائلات أطفال حديثي الولادة مسجلين في مركز الثلاثسيميا بنيوى، وثبتت إصابتهم بالمرض فور الولادة، اختيار مرضعة سليمة غير قريبة، تخضع بدورها لفحص طبي شامل للتأكد من خلوها من الثلاثسيميا والأمراض المعدية والنفسية. وبعد موافقة أهل الشفوية والخطية وإطلاعهم على أن هذا النوع من الرضاعة جائز شرعاً ويندرج تحت "أخوة الرضاعة" المعروفة في الفقه الإسلامي خضع الرضع لمتابعة دموية وسريرية دقيقة كل ستة أشهر، ووُزِعَ الأطفال بين مجموعة تلقت هذه الرضاعة العلاجية، ومجموعة ضابطة واصلت الرضاعة الطبيعية من أمهاتها الأصليات.

وبعد ستة أشهر من الرضاعة العلاجية، لوحظ تحسّن ملموس لدى جميع الرضع الذين خضعوا لها: ارتفع تركيز الهيموغلوبين الكلي، وارتفعت نسبة الهيموغلوبين الجنيني HbF (المعوض عن النقص الجيني)، وتراجعت وتيرة الحاجة إلى نقل الدم، وتقلّص حجم الطحال المتضخم كما تم توثيقه بالتصوير بالموجات فوق الصوتية، وتحسّنت الحالة الصحية العامة ومعدلات النمو الجسدي والإدراكي، بينما بقيت المجموعة الضابطة على حالها من الاعتماد على نقل الدم المتكرر.

المؤشر	قبل الرضاعة العلاجية	بعد 6 أشهر من الرضاعة العلاجية
تركيز الهيموغلوبين الكلي	منخفض	تحسّن ملحوظ
نسبة الهيموغلوبين الجنيني HbF	منخفضة نسبياً	ارتفاع واضح ↑
معدل نقل الدم	متكرر (كل 3-4 أسابيع) ↓	تراجع في وتيرته
حجم الطحال	متضخم	أصغر حجماً ↓
الحالة العامة والنمو	شاحب، ضعيف النمو	قريب من الطبيعي

ويشير الباحثون أنفسهم -بأمانة علمية تُحسب لهم- إلى أن هذه دراسة تمهيدية أولية شملت عدداً محدوداً من الحالات حتى الآن، وأن التحسن في مؤشرات نوع الهيموغلوبين قد يتأثر جزئياً بعمليات نقل الدم المستمرة للمرضى، بينما يبقى انحسار تضخم الطحال وتراجع الحاجة إلى نقل الدم أقوى مؤشرين موضوعيين على الفائدة. كما يوصون بإجراء دراسات موسّعة متعددة المراكز، بعدد أكبر من الحالات، ومتابعة أطول أمداً، قبل اعتماد هذا الأسلوب كخيار علاجي معتمد.

تنبيه ضروري: هذا البحث في مرحلة تجريبية أولية، وقد أُجري تحت إشراف طبي وأخلاقي صارم في مركز متخصص. وهو لا يُعدّ بديلاً عن العلاجات المعتمدة للثلاسيميا (نقل الدم، الاستقلاب، زرع النخاع)، ولا ينبغي لأي أسرة تطبيقه دون إشراف طبي متخصص واختيار مرضعة تخضع للفحوصات اللازمة.

ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية

الرضاعة من غير الأم ليست أمراً مستحدثاً في الفقه الإسلامي، بل هي حكم أصيل ورد ذكره في القرآن الكريم وفصلته السنة النبوية المطهرة. يقول الله تبارك وتعالى في معرض بيان المحرمات من النساء:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ... وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ...﴾ [النساء: ٢٣]

ففي هذه الآية الكريمة، يضع الله عز وجل "الأُمّهات من الرضاعة" في مصافِّ الأُمّهات من النسب، وهذا يعني أن الشرع اعتبر منذ البداية أن للرضاعة أثراً حقيقياً يستحق أن يُبنى عليه حكم شرعي بحجم تحريم الزواج، لا أثراً رمزياً أو اجتماعياً فحسب. كما أباح القرآن الكريم صراحة الاستعانة بمرضعة أخرى غير الأم، فقال تعالى:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾

[الطلاق: ٦]

وفي هذه الآية الأخيرة إشارة إلى أنه إذا امتنعت الأم عن إرضاع طفلها بعد الطلاق، فليس للأب أن يجبرها، بل يجد له مرضعة أخرى ترضعه. وقد جاءت السنة النبوية لتؤكد أن الرضاعة - من أي امرأة كانت - تُنشئ رابطة شرعية معتبرة، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» [متفق عليه].

وهذا الحديث -الذي استندت إليه المجلة في مقالها السابق عن تحريم زواج إخوة الرضاع- يضع قاعدة كلية جامعة تسوي بين الرضاع والنسب في آثاره الشرعية، بصرف النظر عن هوية المرضعة أو صلة قرابتها بالطفل.

وجه الإعجاز: حين تتحول "أخوة الرضاعة" من حكم شرعي إلى أداة علاج



لطالما اكتفى المفسرون وشرّاح الحديث، عبر القرون، بفهم رابطة "الرضاعة" على أنها أثر تغذوي بحت: طفل ينمو لحمه وعظمه من لبن امرأة، فيُعامل معاملته القريب. أما اليوم، فإن هذه الدراسة العراقية تكشف بعداً أعمق بكثير لهذه الرابطة: فليب المرأة غير الأم ليس ناقلاً للغذاء فقط، بل ناقلاً حيّ لخلايا جذعية فعّالة، ومادة جينية تنظيمية (الميكرو رنا)، قادرة - كما تُظهر النتائج الأولية- على التوطن الفعلي في نخاع عظم الرضيع، والإسهام في إعادة برمجة إنتاجه لخلايا الدم، بل وربما تعديل التعبير عن جيناته ذاتها.

بعبارة أخرى: حين حرّم الإسلام قبل أربعة عشر قرناً زواج "إخوة الرضاعة"، وساوى بينهم وبين إخوة النسب في هذا الحكم، لم يكن ذلك تشبيهاً مجازياً أو احتياطاً اجتماعياً عابراً، بل كان - كما تشير هذه المعطيات الأولية- إشارة إلى اندماج بيولوجي حقيقي بين الرضيع والمرضعة، اندماج يتجاوز مجرد التغذية إلى مستوى الخلايا والجينات. وهذا ما يفسر لماذا اختار الفريق البحثي العراقي أن يستلهم فرضيته العلاجية من هذا التشريع بالذات، مستشهداً بآيات القرآن الكريم في مقدمة بحثهم المنشور، ومن ممارسة شعبية موصلية توارثتها الجدات عبر الأجيال دون أن يعرفن تفسيرها العلمي.

وهنا تكمن الصورة الأجل لهذا الإعجاز: فهو لا يقتصر على أن يأتي العلم الحديث ليثبت -بعد وقوعه- حكمة حكم شرعي قديم، بل يمتد إلى أن يكون هذا الحكم نفسه مصدر إلهام لباحثين مسلمين، دفعهم إلى اقتراح علاج جديد غير مكلف وغير جراحي لمرض وراثي خطير، انطلاقاً من ثقتهم بأن ما شرعه الله لعباده لا بد أن يحل في طبياته حكمة تتجاوز فهم عصر التنزيل. فإذا كانت الرضاعة تُنشئ من الناحية الشرعية أخوة حقيقية توجب التحريم، أفلا يكون منطقياً أن تحمل معها -من الناحية البيولوجية- ما يفيد الجسد ويداويه؟

الخلاصة

إن هذه الدراسة، على أوليتها ومحدودية عدد حالاتها حتى الآن، تفتح أفقاً علمياً وإنسانياً واعداءً: علاج بسيط، غير مكلف، وغير جراحي، مستمد من فطرة الرضاعة التي فطر الله عليها الأمهات، يمكن أن يخفف معاناة آلاف الأطفال المصابين بالثلاسيميا حول العالم، ولا سيما في البلدان التي تنتشر فيها هذه الطفرة الجينية ولا تتوفر فيها إمكانات زرع النخاع أو العلاج الجيني. وهي شهادة جديدة على أن التأمل في التشريع الإسلامي، بعيداً عن الجمود، قد يكون بذاته باباً من أبواب الاكتشاف العلمي، لا مجرد ميدان لتفسير اكتشافات الآخرين. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[فصلت: ٥٣]

نسأل الله أن يتم على هذا الفريق البحثي عمله، وأن ينفع به أطفال المسلمين وسائر البشر، وأن يجعل كل جهد يبذل في خدمة العلم والإنسان في ميزان حسنات أصحابه.

"الإعجاز"

- مجلة دينية علمية غير سياسية.
- تبحث في إعجازي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
- لا تتوخى الربح.
- ما على الراغبين بالحصول على نسخة إلكترونية منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة
- مع ذكر البريد الإلكتروني أو رقم الهاتف.
- اشترك في مجلة الإعجاز كي يصلك العدد فور صدوره.

(*) : أستاذ مساعد في جامعة رفيق الحريري، من أسرة تحرير مجلة الإعجاز.

المصادر:

المصدر الأساسي

الحوّال، محمد جميل؛ فاضل، نبيل نجيب؛ الحياي، يسرى أحمد؛ النعيمي، محمد جواد؛ الجوّاري، مقداد. "الرضاعة الطبيعية من غير الأمّ علاجاً للأمراض الوراثية، التلاسيميا الكبرى مثلاً". دراسة سريرية أولية، مركز التلاسيميا، محافظة نينوى، العراق (بموافقة أخلاقية من دائرة صحة نينوى، رقم الكتاب 943 بتاريخ 28/5/2023).

المصادر الشرعية

- صحيح البخاري ومسلم، حديث: «يُحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» (متفق عليه).
- سورة النساء، الآية 23؛ سورة البقرة، الآية 233؛ سورة الطلاق، الآية 6.

مصادر علمية مختارة من البحث الأصلي

- Hassiotou F, Hartmann PE. At the dawn of a new discovery: the potential of breast milk stem cells. Adv Nutr. 2014;5(6):770-8. PMID: 25398739.
- Kakulas F, D'Vaz N, McCulloch J, et al. Human milk contains stem cells with multilineage differentiation capacity. Front Pediatr. 2014;2:148.
- Kosaka N, Izumi H, Sekine K, Ochiya T. microRNA as a new immune-regulatory agent in breast milk. Silence. 2010;1(1):7. PMID: 20226005.
- Liao Y, Du X, Li J, Lönnnerdal B. Human milk exosomes and their microRNAs survive digestion in vitro and are taken up by human intestinal cells. Mol Nutr Food Res. 2017;61(11). PMID: 28688106.
- Hatmal MM, et al. Immunomodulatory Properties of Human Breast Milk: MicroRNA Contents and Potential Epigenetic Effects. Biomedicines. 2022;10(6):1219. PMID: 35740242.
- Sankaran VG, et al. MicroRNA-15a and -16-1 act via MYB to elevate fetal hemoglobin expression in human trisomy 13 erythroid cells. Nat Genet.
- Rachmilewitz E, Giardina P. Beta-thalassemia. The Lancet. 2011

الأنانية

الهلوع

الجهل

الكذب

القرآن

العجول

الخصيم

القتور

والتربية النفسية

د. نايف بن نهار*

الاستغناء

الظلم

القتور

ناقش د. نايف بن نهار هو أكاديمي ومفكر قطري بارز، في بودكاست بدون ورق بعنوان "البوصلة القرآنية في تربية النفس" العديد من المواضيع التربوية الواردة في القرآن الكريم وتأثيرها على علاقتنا به. وتحدث عن أهمية العودة إلى تدبر القرآن ومحاولة فهمه وجعله منهجاً للحياة، كما سلط الضوء على المنهج القرآني في التربية وما يطرحه من حلول للمشكلات التي يعاني منها نموذج التربية الحالي في المدارس والبيوت.

أوضح بن نهار أن القرآن الكريم يتبع منهجاً فريداً في موضوع التربية الإنسانية حيث تُقدّم بعض الآيات وصفاً دقيقاً وشرحاً معمقاً لماهية الطبيعة الإنسانية وجوهرها بعيداً عن الأحكام. يبدأ هذا المنهج ببناء تصور ذهني أولاً لتمكين الفهم الصحيح، ومن ثم تأتي مؤشرات ونتائج واضحة لهذه الطبيعة الإنسانية. مثال على ذلك الآيتان السادسة والسابعة من سورة العلق لشرح جانب من الطبيعة البشرية، "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ" (٦) "أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى" (٧). فبمجرد أن يبدأ الإنسان بالاستغناء، سيؤدي ذلك إلى طغيانه وتجاوزه للحدود. فالمؤشرات الأولى للطغيان تظهر عندما يرى الإنسان نفسه مستغنياً أو مكتفياً ذاتياً. هذه الظاهرة لا تقتصر على السلوك الشخصي فقط؛ بل تمتد لتشمل المستويات السياسية والإدارية أيضاً.

الصفات السلبية في القرآن الكريم

استعرض د. نايف بن نهار نحو خمسة عشر صفة سلبية يُشير إليها القرآن الكريم، وهي بمثابة تشخيص دقيق للنفس الإنسانية. من هذه الصفات نجد: الهلوع (شديد الخوف أو الجزع)، الجزوع، المنوع (الذي يمنع الخير)، العجول، القتور (البخيل)، القنوط (اليأس)، الظلوم، الجهول، الخصيم (كثير الجدل بالباطل)، الفرح (بطراً)، الفخور، والمختال (المتكبر)، الأناني، المستغني، الكذاب. وأشار أنّ هذه الصفات موجودة في كل إنسان، يكون عدد من هذه الصفات ظاهراً على الإنسان، بينما تبقى الصفات لأخرى خفية أو غير مفعلة. تُفعل هذه الصفات الكامنة عندما يختلط الإنسان ببيئة تُثير أو تقوّي هذه الجوانب السلبية لديه. على سبيل المثال، قد لا تكون صفة البخل ظاهرة عند أحدهم، لكن اختلاطه بأشخاص يتسمون بالبخل تجعله يكتسب هذه الصفة تدريجياً، ليصبح "قتوراً". وكذلك تُفعل صفة "الخصيم" في الإنسان، وهو الذي يجادل بالباطل رغم معرفته للحقيقة، وهو ما وصفه القرآن بقوله: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"، (سورة الكهف، الآية ٥٤) باختلاطه بأفراد لديهم هذه الصفة السلبية دون أن يدركوا ذلك.

المشروع التربوي القرآني وتطبيقه

بيّن بن نهار أنّ القرآن الكريم لم يذكر كلمة "الإنسان" إلا على وجه الدّم، مثال الآية 28 من سورة النساء "وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا". فسبب ضعف الإنسان هو وجود الصفات السلبية فيه وبالتالي فإن المشروع التربوي القرآني يهدف إلى تخليص "الإنسان" من هذه الصفات السلبية وتحويله إلى "مؤمن" يتصف بنقيضها تماماً. فبعد الانتقال من "نموذج الإنسان" العادي إلى "نموذج الإيمان" يمكن ملاحظة تغيير خطاب الله سبحانه وتعالى للإنسان من وصفه بالضعف إلى استثنائه من الخسران والعذاب.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[النساء: ٢٨]



في قوله تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)" (سورة العصر، الآية ٢-٣)، "الانسان" هو الذي وُصف بالخسر، بعدها استثنى الله تعالى الذين آمنوا من الخطاب. وفي سورة المعارج، اقترن ذكر "الانسان" بالصفات المذمومة مثل الهلوع والجزوع والمنوع ثم استثنى الله تبارك وتعالى النموذج الايماني بقوله "إِلَّا الْمُصَلِّينَ"

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾
[العصر]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢)﴾
[المعارج]



يرى د. نايف أنّ المشروع التربوي الحقيقي في المدارس ينبغي أن يركّز على تطهير نفوس الطلاب من الصفات المذكورة، واحدة تلو الأخرى باستخدام الأنشطة والتدريبات المناسبة، فالتربية ممارسة ومدرسة. كما أكّد أنّ ملاعب المدارس مكان مناسب للبدء باقتفاء أثر هذه الصفات السلبية لمعالجتها. تتجلى أغلب الصفات المذكورة سابقاً عندما يلعب الطلاب مباراة كرة قدم على سبيل المثال ترى: فتجد الكذاب، وتجد الأناني الذي لا يريد أن يُعطي الكرة لأحد، وترى المستغني الذي لا يُقدّر مجهود غيره وينسب الفضل لنفسه، والهلوع الذي قد يُحبط الفريق بمجرد احساسه أنّ الفريق الخصم أقوى من فريقه. وعند انتهاء المباراة سواء بالربح أو الخسارة تتكشف الكثير من الصفات التي لن تكون ظاهرة في الأوضاع العادية، فتكون أفضل فرصة لتدريب الأولاد على التربية السليمة.

ختاماً، في القرآن الكريم ذُكر لكل صفة من هذه الصفات السلبية ودوافعها النفسية، وتحدياتها، ومظاهرها السلوكية، بالإضافة إلى خصائصها، لكي تتعلمها وتعرف عليها بعمق. ثم يوضح القرآن الصفة المضادة الإيجابية، ويُبين التحديات التي قد تمنعنا من الانتقال من السلبية إلى الإيجابية، مُقدِّماً منهاجاً عملياً للنمو الروحي والأخلاقي.

(*) الدكتور نايف بن نهار: أكاديمي ومفكر قطري بارز، يشغل منصب مدير مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية

في جامعة قطر، ورئيس مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث.

التكامل والتناظر

بين سورتي الرعد والسجدة

في القرآن الكريم

أ.د. محمد جميل الحبال (*)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فيما يلي وقفات تدبرية علمية وطبية في سورتي الرعد والسجدة الكريمتين:

١- الأحرف المقطعة في مطلع السورة:

سورة الرعد هي الوحيدة التي تبتدئ بالأحرف المقطعة "ألمر" (ألف لام ميم راء)، وسورة السجدة تبتدئ بـ "ألم" (ألف لام ميم)، والتي تكررت في القرآن الكريم ٦ مرات، البقرة، آل عمران، العنكبوت، لقمان، الروم، وآخرها السجدة موضوع البحث.

٢- مطلع السورتين- القرآن هو الحق:

في الآية الأولى من كل من السورتين أن القرآن الكريم هو الحق المطلق! ففي سورة الرعد وفي سورة السجدة يقول الباري عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾

[الرعد: ١]

﴿الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)﴾

[السجدة]

٣- رفع السماوات وخلق السماوات:

في الآية الثانية من سورة الرعد والآية الرابعة من سورة السجدة؛ قوله تعالى في سورة الرعد وفي سورة السجدة:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الرعد: ٢]

﴿لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾

[السجدة: ٤]

٤- البعث والخلق الجديد:

في الآية الخامسة من سورة الرعد وفي سورة السجدة؛ قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا نُكِّتُ تَرَابًا إِنَّنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[الرعد: ٤]

﴿قَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾

[السجدة: ١٠]

٥-التطابق العددي والمعنوي في موضع السجدة في كل من السورتين:

التناظر الآخر والمتطابق عددياً أيضاً يكمن في موضع السجدة، حيث تستحق سجدة التلاوة في الآيتين اللتين تحملان الرقم ذاته وهي الآية الخامسة عشرة في كل من السورتين، ففي سورة الرعد يقول المولى تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ (١٥)﴾ [الرعد]، كذلك حملت آية السجدة في سورة السجدة الرقم نفسه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ (١٥)﴾ [السجدة].

ثم تأتي المفاجأة الثانية، بتطابق عدد كلمات كل من الآيتين البالغ (١٥) كلمة، وكذلك مع عدد السجعات في القرآن الكريم والبالغة (١٥) سجدة.

فهذا تطابق عددي (رقمي) ومعنوي ولفظي بالسجود لله عز وجل في هاتين السورتين المباركتين.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

[الرعد: ١٥]

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

[السجدة: ١٥]

٦- الجنة وأهلها وصفاتها:

في السورتين الوعد بالجنة واحد، ففي سورة الرعد الآية الخامسة والثلاثين: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾ [الرعد]، كذلك في سورة السجدة في الآية السابعة عشرة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة].

إضافة إلى أن ختام هذه الآية من سورة السجدة (بما كانوا يعملون) يتطابق مع ختام الآية التاسعة عشرة من السورة ذاتها (بما كانوا يعملون): ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)﴾ [السجدة].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

[الرعد: ٣٥]

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾
﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)﴾

[السجدة]

٧- أصحاب النار وأحوالهم:

وتشابه أوصاف أصحاب النار في كل من السورتين، ففي سورة الرعد وفي سورة السجدة:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[الرعد: ٥]

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

[السجدة: ١٢]

لطيفة بيانية وإعجاز قرآني فريد:

نلاحظ هنا، أن القرآن قدّم النظر (البصر) على السمع. إذ في جميع الآيات القرآنية دائماً يسبق السمع البصر، إلا في هذه الآية من سورة السجدة وهي الآية رقم ١٢ ﴿...رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا...﴾.

والسبب في ذلك هو أنهم هنا أصبحوا في اليوم الآخر، وأصبحت الأمور مشاهدة بصرياً وليس سماعاً. ففي الدنيا كانوا يسمعون ويُبْلَغون، فكانت الوسطة الإدراكية الحسية الواردة هي السمع قبل البصر. أما في الآخرة، فقد أصبحت الأمور واقعية مشاهدة عياناً، فتقدم البصر على السمع. مثل قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. فتقدم البصر على السمع هنا، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تحصل فيها هذه الحالة، وهذا من الإعجاز القرآني العظيم.

٨- نزول الماء وإخراج الثمرات:

قوله جل جلاله في سورة الرعد: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤) [الرعد: ٤]. وفي الآية التكاملية معها من سورة السجدة هي قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]. لاحظوا هنا أن الباري عز وجل ختم الآية بـ ﴿...أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن الخطاب يقول في البداية "أولم يروا" فإذا اقتضى أن تكون حاسة البصر هي المستهدفة. أما في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦] فهي من الإخبار عن القرون والأقوام السابقين، الذين يمشون في ديارهم ويعتبرون بمصائرهم ويسمعون أخبارهم فاقتضى ختم هذه الآية بقوله ﴿...أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، بينما في الآية التي بعدها ﴿...أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فهذا من الإعجاز اللفظي والبلاغة في القرآن الكريم.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[الرعد: ٤]

﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

[السجدة: ٢٧]

٩- علم الأجنة:

التطابق الآخر المتميز بين هاتين السورتين المباركتين: الرد والسجدة، في علم الأجنة. ففي الآية الثامنة من كل منهما، يقول الباري عز وجل في سورة الرد: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرد: ٨]. وفي السجدة: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

فهما يتكلمان عن خلق الإنسان، وأصله، وتطوره في رحم أمه. وهنا التفاتة علمية رائعة سبق بها القرآن الطب في علم الأجنة، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾. ذكر المفسرون أن "وما تغيض الأرحام" أي: ما تنقص بالدم بالطرح (السقط)، "وما تزداد بالعدد كالتوائم

وبالحجم. ولكن هناك شيء آخر يمكن استنباطه من قوله تعالى "وما تغيض الأرحام"، أي: ما تمتصه الأرحام من الأجنة؛ أي أن الرحم، أو بدايات الحمل، يمتص من قبل بطانة الرحم فيخفي الجنين، ويكون "الجنين المختفي" أو كما يسمى طبياً (متلازمة التوأم المتلاشي).

كما تمتص الأرض الماء في قوله تعالى في قصة نوح: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤]، "غيض الماء" يعني: اختفى الماء في باطن الأرض وامتصته. وكذلك اكتشف مؤخراً أن الرحم أحياناً يمتص الجنين. فثبت ذلك في الحمل التوأم؛ عندما يكون هناك حمل توأم في بداية الحمل يكتشف ويُشخص بالأشعة فوق الصوتية (السونار)، ولكن بعد فترة، عندما يُعاد هذا الفحص، يكتشف أن أحدهما قد اختفى وبقي توأم واحد. فأين ذهب الآخر؟

فتبين أن هذا التوأم المختفي قد امتصه الرحم في ظاهرة تسمى التوأم المتلاشي... سبحان الله! فلاحظوا التعبير القرآني الدقيق "وما تغيض الأرحام" أي: ما تمتصه، وليس ما هو فقط السقط. قد يُفسر أيضاً السقط الطرح (Abortion) كما يقال، ولكن هنا لم يحدث Abortion في هذه الحالة؛ بدليل أن التوأم الثاني موجود، وقد تم نموه وولادته، ولكن التوأم الآخر اختفى عن طريق امتصاص الرحم له.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

[الرعد: ٨]

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

[السجدة: ٨]

١٠- النسبة الذهبية الجمالية ١,٦ في مجموع ارقام السورتين وعدد آياتهما في المصحف الشريف:

من اطلع على النسبة الذهبية في الأشكال الهندسية وفي جمال الطبيعة وجمال الجسم البشري وتنسيق أعضائه (the golden ratio) يشعر بالارتياح النفسي عند النظر اليه، وبكمال هذه النسبة التي فطر الله تعالى عليها كثيراً من خلائقه، وهذه النسبة قيمتها التقريبية ١,٦١، وتتحقق هذه النسبة على العمليات الحسابية هنا بين مجموعي أرقام السورتين وعدد آياتهما المدرجة في الجدول أدناه:

اسم السورة	رقم السورة	عدد آيات السورة
الرعد	13	43
السجدة	32	30
المجموع	45	73

فتتحقق النسبة الذهبية الجمالية بين مجموع الرقمين أعلاه وكما أدناه:

$$١,٦٢٢ = ٤٥ \div ٧٣$$

مجموع الآيات ٧٣ ÷ مجموع أرقام السور ٤٥

$$١,٦١٦ = ٧٣ \div ١١٨ \quad \text{المجموع العام } ٤٥ + ٧٣ = ١١٨ \div \text{مجموع الآيات } ٧٣$$

فحصل التطابق والتكامل البلاغي والمعنوي اللفظي وكذلك الرقم الجمالي بينهما (النسبة الذهبية).

الخلاصة

إن هذا التكامل والتناظر والتناسق المعنوي واللفظي، وأحياناً العددي الرقي بين هاتين السورتين المباركتين دليل على الإعجاز المتعدد الوجوه في القرآن الكريم الذي هو أحد أساليبه البلاغية وصولاً لتوضيح سورة كاملة عن المعاني التي يريد الله تعالى بينها للناس تسهيلاً لهدايتهم حتى تكتمل عندهم جميع المؤشرات ترغيباً وترهيباً، وقد تكون هناك أمثلة تكاملية وتناظرية أخرى في سور القرآن الكريم قد يتوصل إليها غيرنا من المتدبرين في سورة وآياته، قال تعالى:

﴿تَابُ أَرْزُلَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[ص: ٢٩]

وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

(*) استشاري الباطنية والباحث في التفسير الطبي والعلمي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

الموصل – العراق، 12 تموز 2026م

إلى الأحبة القراء

يسرّ مجلة "الإعجاز" تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة إلى تنوير المجتمع وثقافته بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقداته، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

اعرض نفسك على القرآن (*)

تخيّل أن القرآن
لا يحدّثك فحسب،
بل يكشف لك
صورتك كما يراك الله.

هل خطر لك يوماً أن آيات القرآن قد تصف حالك، وتكشف طريقك، وتنبهك إلى مآلك، دون أن تشعر؟ إن القرآن الكريم ليس كتاباً نقرأه لنهني صفحاته، وإنما هو كتابٌ نقرأ فيه عن أنفسنا، ونراجع من خلاله قلوبنا وأعمالنا وأخلاقنا. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)﴾ [الأنبياء]، أي: إن في هذا الكتاب تذكير لكم، وفيه ما يصلح أحوالكم، وفيه بيان الطريق الذي ينبغي أن تسلكوه.

﴿لَقَدْ أَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[الأنبياء: ١٠]

ويُروى عن الأحنف بن قيس أنه جلس يوماً يتدبر هذه الآية، فقال بقلب واجل: «اثنوني بالمصحف؛ لأتمس ذكري فيه، حتى أعلم من أنا؟». ثم أخذ يتأمل أوصاف الناس التي ذكرها القرآن، وكأنه يعرض نفسه عليها: أين أنا من هؤلاء؟ مرّ على قوم وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ [الذاريات]. قومٌ عرفوا قيام الليل، وأحيوا ساعات السحر بالاستغفار، ولم تكن علاقتهم بالله مقتصرة على أوقات الرخاء.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾

[الذاريات]

ثم مرّ على قوم آخرين، فقال الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فهم أهل إنفاق في السراء والضراء، وأهل ضبط للنفس عند الغضب، وأهل عفو وصفح عن الناس. لم يكن إحسانهم كلمات تُقال، بل أخلاقاً تُمارس في الحياة.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٤]

ثم مرّ على قوم بلغ بهم الإيثار منزلة عظيمة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر].

إنهم قوم لا يعيشون لأنفسهم وحدها؛ يؤثرون غيرهم، ويقدمون حاجات الآخرين على حاجاتهم، حتى مع وجود الحاجة والفقر.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الحشر: ٩]

ثم وجد وصفاً آخر يختبر أخلاق الإنسان في لحظة الغضب، فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)﴾ [الشورى]. وهنا يتوقف الإنسان مع نفسه: كيف أكون عندما أغضب؟ هل أملك نفسي؟ هل أعفو وأصفح؟ أم أطلق لكلمات الغضب العنان، ثم أندم بعد فوات الأوان؟

وحين لم يجد نفسه بينهم، بكى، وخفض رأسه، وقال: «اللهم، لست أرى نفسي عند هؤلاء».

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

[الشورى: ٣٧]

ثم تابع القراءة، حتى مرّ على قوم استكبروا عن كلمة التوحيد، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَنَا رُكُودٌ لِّشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ (٣٦)﴾ [الصفات]، فقال في نفسه: «اللهم، إني أعوذ بك أن أكون من هؤلاء».

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَنَا رُكُوءَاتُ لِسَانٍ لِّشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾

[الصفات]

ثم مرّ على قوم ضيّعوا الصلاة، ولم يحملهم إيمانهم على الرحمة بالمحتاجين وإطعام المساكين، فقال تعالى:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾

[المدثر]

فارتعد قلبه وقال: «اللهم، إني أبرأ إليك من هؤلاء».

ثم مضى في قراءته، حتى بلغ آية وجد فيها صورة أقرب إلى نفسه، وأوسع باباً لرجائه في رحمة الله، حيث قال تعالى: ﴿وآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)﴾ [التوبة]، فبكى وقال: «اللهم، أنا من هؤلاء، فرحمتك أرجو».

وهنا تتجلى حقيقة عظيمة: لسنا جميعاً ملائكة لا يخطئون، ولا نحن معصومون من الزلل؛ ولكن الفارق بين الناس أن منهم من إذا أذنب أصرّ، ومنهم من إذا أذنب اعترف وتاب ورجع إلى الله.

﴿وآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٠٢]

فلا تيأس من نفسك، ولا تجعل ذنبك سبباً للقنوط من رحمة الله. أكثر من التوبة والاستغفار؛ فربُّ وصف نفسه بأنه غفور رحيم، كيف لا يفتح لعبده باب الرجوع إليه! قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[الزمر: ٥٣]

كيف تعرض نفسك على القرآن؟

إن عرض النفس على القرآن ليس مجرد فكرة جميلة، بل هو منهج في إصلاح القلب والسلوك؛ أن تجعل كتاب الله مرآة لقلبك وعملك، فتقيس أخلاقك وأفعالك على ما جاء فيه من أوامر ونواهٍ، ومن صفات أهل الإيمان والتقوى، ومن صفات أهل الغفلة والضلال. وقد نقل عن الحسن البصري رحمه الله قوله: «من أحب أن يعلم ما هو، فليعرض نفسه على القرآن». فإذا وجدت نفسك من أهل الصفات التي مدحها الله، فاحمده واسأله الثبات. وإذا وجدت في نفسك شيئاً مما ذمّه الله، فلا تغتر، بل بادر إلى التوبة والإصلاح.

أولاً: قف عند الصفات

عندما تقرأ عن المتقين، والتوابين، والمحسنين، والصادقين، والمتوكلين، لا تمرّ على الآيات مروراً سريعاً، بل اسأل نفسك: أين أنا من هذه الصفات؟ وهل ظهرت آثارها في أخلاقي وتعاملاتي؟

ثانياً: تفقد قلبك

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢). [الإسراء]. فاسأل نفسك: هل يخشع قلبي عند سماع القرآن؟ هل أتأثر بآيات الوعد والوعيد؟ هل أحمل كلام الله من المصحف إلى حياتي؟ وهل أأتمر بأمره وأنتهي عما نهى عنه؟

ثالثاً: راجع ذنوبك

إذا مررت بآيات تصف المنافقين أو الغافلين أو أهل المعاصي، فلا تجعلها موجهة إلى غيرك فقط، بل فتش قلبك: هل في شيء من هذه الصفات؟ فإن وجدت شيئاً منها، فاستغفر الله وتب إليه، واعزم على التغيير.

رابعاً: احمد الله على الطاعة

إذا وجدت أن عملك يوافق هدي القرآن، فلا تعجب بعملك، بل احمد الله الذي وفقك إليه، واسأله الثبات والزيادة؛ فالطاعة فضل من الله، والثبات عليها فضل آخر.

القرآن مرآة، والسنة طريق التطبيق

ولا يكتمل عرض النفس على القرآن إلا بالنظر في سنة رسول الله ﷺ؛ فالقرآن يهدي، والسنة تبين كيف يتحول هذا الهدي إلى عمل وسلوك وأخلاق، فمن أراد أن يعرف مقدار صدقه في محبة النبي ﷺ، فليُنظر إلى مدى اتباعه له، ومن أراد أن يعرف أثر القرآن في حياته، فليُنظر إلى أخلاقه ومعاملاته.

وقد نُقل عن الحسن البصري رحمه الله قوله: «رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله؛ فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب». وهذا هو المطلوب: مراجعة النفس، لا جلد النفس؛ والتوبة، لا اليأس؛ والإصلاح، لا الاكتفاء بالشعور بالذنب.

هل تشعر بحلاوة القرآن؟

ونُقل عن الحسن البصري رحمه الله قوله: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر؛ فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق".

فإذا وجدت في قلبك لذة عند الصلاة، وأنساً عند تلاوة القرآن، وحضوراً عند ذكر الله، فاحمد الله على هذه النعمة، واسأله أن يزيدك منها. وإذا وجدت قلبك قاسياً، والقرآن لا يحركه، والصلاة ثقيلة عليك، والذكر بعيداً عن لسانك، فلا تستسلم؛ بل عد إلى الله، وأكثر من الاستغفار، واطرق باب رحمته. فالقلوب بيد الله، وهو القادر على أن يحيي القلب بعد

قسوته، كما يحيي الأرض بعد موتها، وقد قال ابن القيم رحمه الله:
"ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله".

فيا من تقرأ القرآن، لا تجعل همك أن تختتم السورة، بل اجعل همك أن تترك الآية أثراً في قلبك وسلوكك.
اقرأ القرآن، ثم اسأل نفسك: هل أنا من أهل هذه الآية؟ هل في أخلاقي شيء من هذه الصفة؟ هل غير القرآن شيئاً في حياتي؟

إن أعظم ما يفعله القرآن في الإنسان أن يجعله يعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف الطريق إليه

وأخيراً... من أراد أن يعرف حاله ومآله، فليعرض نفسه على كتاب الله
فإن وجد خيراً في صفاته فليحمد الله على ذلك، وإن وجد عكس ذلك فليتب إلى الله وليرجع إليه.
فلنجعل القرآن رفيقاً لنا في كل يوم، لا كتاباً نفتحه في المناسبات فحسب، بل دستوراً نرجع إليه في أخلاقنا وأعمالنا،
وقراراتنا، وعلاقاتنا.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.
وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم آمين.

(*) : بريد القراء محمد أبو الريش (بتصرف وإضافة أماني جحتو)



العرق دسّاس (*)

"تخيروا لنطفكم فإن
العرق دسّاس"

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على
أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين
الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

يبين لنا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة
النبوية المطهرة من الحقائق العلمية ما كانت مخفية وغائبة
عن البشرية قبل أن يوجد لها تفسير علمي حقيقي، وقد
أصبحت الآن حقيقة علمية واقعة بعدما وصل العلم
الحديث إلى نظم ووسائل تكنولوجيا متقدمة في معظم
المجالات العلمية والعملية وبعد أن أنعم الله على سيد
البشرية سيدنا محمد ﷺ، وفتح عليه بالعلم والمعرفة اذ قال
له الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾
[النساء: ١١٣]

ومما تعلمناه من رسول الله ﷺ بما علمه الله، هو نصيحته
عليه الصلاة والسلام فيقول:
((تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس))
صدق رسول الله ﷺ.



إذ أثبت العلم الحديث ذلك فيما يخص علم الوراثة (Genetics) وان الصفات الوراثية التي يحملها الانسان عن طريق الجينات الوراثية (Genetic genes) والتي تنتقل من الآباء أو الأجداد وإلى الأبناء والتي يذكرها سيدنا محمد ﷺ في حديثه آنفاً يختصرها بكلمتي العرق دساس قاصداً في كلمة العرق في تفسير العلم الحديث هو الجين الوراثي المتأصل وما يحمله من صفات وراثية قد تكون سيئة سلبية أو جيدة إيجابية في نتائجها وعلى مدى الاجيال.

وثبت أيضاً أن ما تعانيه البشرية في زماننا هذا من كثرة الامراض منها المزمنة وحتى الانحرافات السلوكية والاخلاقية في شخصية الفرد types personality في مجتمعاتنا وخصوصا الغربية منها لحي خير دليل على ذلك وأن ما يقصده النبي ﷺ في حديثه وما يقدمه لنا من نصيحة والى البشرية جمعاء، أن الرجل والمرأة إذا أقدما على الزواج فعليهما أن يكونا متبصرين ومجتهدين في البحث عن الشريك (النقي وراثيا)، إذا صحة التسمية!، كذلك في البحث عن التاريخ المرضي والسلوكي للعائلة التي يروما الزواج منها، حتى لا ينشأ بعد فوات الأوان، وحتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه مما ينعكس سلباً على الحياة والبيئة الاجتماعية الأسرية ومن ذلك اجتناب زواج الأقارب قدر المستطاع كما قال سيدنا عمر بن الخطاب: "اغربوا لا تضووا"، خشية انتقال الامراض بسبب الكروموسوم المتنحي اي العرق في الاب والام فعلينا أن نحصن عوائلنا تحصيناً علمياً (صحياً) تربوياً لكي ننشئ جيلاً قوياً معافى قدر الاستطاعة وبذلك نجنب أنفسنا وعوائلنا ما هو ضار آخذين بالنصيحة والدليل .

(*) مثني صبحي محمد الرفاعي الراوي

وزارة الصحة/العراقية

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَانْكَحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ». «سنن ابن ماجه» (1/ 633 ت عبد الباقي)، وفي سنن الدراقطني: «تَحَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ لَا تَصْغَوْهَا إِلَّا فِي الْأَكْفَاءِ». «سنن الدارقطني» (4/ 458)، «وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَصْغُ وَلَدُكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ». «الديلمى عن ابن عمر»، «زهر الفردوس» (1/ 436).

الإلهام الإلهي للحيوان

الحيوانات تباشر عملية التوليد بالغريزة

د. مصطفى محمود (*)



تستطيع الحيوانات أن تباشر عملية التوليد بالغريزة، وهي تعرف كيف تقطع الحبل السري، وأين ومتى تقطعه عن الجنين. فتستطيع الدجاجة مثلاً أن تميز البيضة الفاسدة بين البيضات التي ترقد عليها فتنبذها وتلقي بها بعيداً، وتستطيع أن تميز البيضة غير الملقحة من البيضة الملقحة ... وهي تقوم بإلهام غريزي بتقليب البيض الذي ترقد عليه كل عدد معلوم من الساعات ... ولولا هذا التقليب لماتت الأجنة بسبب التصاقها بالقشرة. ويعرف الفرخ الوليد أين أضعف مكان في البيضة لينقره بمنقاره ويخرج منه.

ويعرف النحل كيف يبني بيوته السداسية بدون مسطرة وبدون برجل ... والنحلات الشغالة العائدة من الحقل تقوم بعمل خريطة طبوغرافية دقيقة بمكان الزهور، وذلك عن طريق الرقص وعمل إشارات بحركات بطنها تدل باقي الشغالة على جغرافية المكان بدقة لا تخيب.





وأعجب من ذلك كله هو من ذلك الطب الغريزي الذي يمارسه حيوان " الوارا " حينما يلدغه ثعبان، فإنه يلجأ إلى نوع من العشب الصحراوي يسميه البدو " الرام رام " ويحك فيه جرحه. وقد لوحظ أن هذا الحيوان لا يدخل في معركة مع الثعبان إلا إذا كان على مقربة من هذا العشب، فإذا لم يجد هذا العشب فإنه لا يدخل في مواجهة مع الثعبان ويبادر بالهرب ... وقد أثبتت التجارب أن هذا العشب يشفى بالفعل من لدغة الثعبان، والاسم العلمي لهذا العشب هو

Heliotropium ramosissim

ومفعوله العلاجي راجع إلى تأثيره على الجهاز المناعي في الكبد.

وهذه حقائق علمية لم تعرف إلا أخيرا ... فكيف أدرك حيوان " الوارا " هذه الحقائق، ومن أين علم بها ... ذلك هو الإلهام المباشر الطب الإلهي بلا شك. وهو مما أوحى به الله للحيوان ... مصداقا للآية: "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون".

(*) من كتاب / القرآن كائن حي " ... د. مصطفى محمود رحمه الله...

فهم كثير من الناس أحاديث تأبير النخيل فهما خاطئاً من خلال قوله ﷺ (أنتم أعلم بأمر دنياكم). وظنوا أن جميع الأمور الدنيوية التي حدث عنها المصطفى ﷺ هي من أمور الدنيا فقط، لذا فهي تخضع لهذا القول، الأمر الذي يعرض الأحاديث النبوية المتعلقة بالأمور الدنيوية إلى التعطيل. وهذا الأمر جد خطير.

ولقد خاض في هذا الأمر كثير من العلماء منذ القدم وخاصة أولئك الذين اهتموا بأمور الفلسفة، وعلوم الطب والعلوم الدنيوية الأخرى، وقد يظن بعضهم خطأ أن في تعميمهم قول المصطفى ﷺ (أنتم أعلم بأمر دنياكم) على جميع الأحاديث النبوية المتعلقة بأمور الدنيا ومعيشتها ما يحمي هذه الأحاديث من انتقادات غير المسلمين حول هذه الأمور، لذلك نجد بعضهم قد أخذ يؤكد أن ما قاله الرسول ﷺ في أمور الدنيا ومعيشتها هي من اجتهاده، مستشهدين ببعض الأحاديث النبوية المتعلقة بأمور الطب مثلاً، وهم لم يفهموها فهما جيداً، ويدركوا المعاني الدقيقة من أقواله ﷺ فيها. وذلك اجتهاداً منهم لحماية أقوال المصطفى ﷺ من أي طعن أو تشكيك، وخاصة عندما يبدو للمحدثين تعارض وهمي بين نتائج العمل التطبيقي وبين أقوال نبي الهدى ﷺ، فيسيئون بذلك إلى أحاديث المصطفى ﷺ من حيث يحسبون أنهم يحسنون، وما قاله الرسول ﷺ عن أمور الدنيا هو حق لا مرية فيه ولا شك فيه، حتى وإن بدا في بعض هذه الأحاديث تناقض ظاهري فردّه إلى عدم معرفة الأسباب التي أدت لذلك، وعدم معرفة المعاني الدقيقة التي تشملها أقوال الحبيب المصطفى ﷺ في هذه الأحاديث.

هل حقاً وعينا الحكمة

في قول الرسول ﷺ:

"أنتم أعلم بأمر

دنياكم"

د. عبد البديع بن حمزة زلي



بل العكس فهذه الأحاديث تكشف لجميع البشر عن معجزة من معجزات النبوة التي تدلنا على أمر دنيوي ما، لم يعرف الناس عنه شيئا في ذلك الحين، ولم تظهر حقيقته إلا بعد أن توسعت العلوم والمعرفة، وبعد أن تطورت الأجهزة والمخترعات، لكن المصطفى ﷺ قد سبق العلماء والعلم الحديث، وأشار أو كشف عن الحقائق العلمية الخاصة بهذا الشأن، وهو لم يكن أبداً طبيباً أو عالماً فليكا أو عالماً في أمور الدنيا كلها، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يعلمه بهذه الأمور فعرّفها وعرف الناس بها، مما يدل على صدق نبوته ﷺ ورسالته.

نعم إن من الأمور التي جعلت مثل هؤلاء يتجرؤون على أحاديث المصطفى ﷺ هو ما قد يظهر من تعارض وهمي بين ما ورد في بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بالأمور الدنيوية، وبين نتائج التطبيق الفعلية، في حين لو تدبروا فيها وتأملوا بعمق علمي، لوجدوا أن الحقائق العلمية تنسجم مع هذه الأحاديث انسجاماً مذهلاً، وتكشف لنا منها معجزات نبوية، وهذا التعارض الوهمي مرده في الأصل إلى عدم تطبيق أقوال المصطفى ﷺ كما ينبغي أن تُطبق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك أحاديث نبوية كثيرة متعلقة بأمور الطب النبوي، وفي هذه الأحاديث نجد أن الرسول ﷺ يصف لنا مادة أو غذاءً ينفع في علاج مشكلة معينة، وقد يستخدم البعض هذه المادة أو ذلك الغذاء دون مراعاة الشروط

فهم الأحاديث النبوية المشرفة

عموماً قد يفهم بعض الناس أقوال الحبيب المصطفى ﷺ فهما ظاهرياً دون أن يتفكروا ويتأملوا في هذه الأقوال، ولذلك قال الرسول ﷺ: (نُضِرَ الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع). فالرسول ﷺ لا يقول إلا حقاً في مزاحه ومداعبته، في غضبه ورضاه، في أمور الدين كلها وأموال الدنيا. ولقد أوردت في المسند (أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله: إني أسمع مقالة أفأكتبها؟ قال: نعم، قلت: في الغضب والرضا؟ قال: نعم، فإني لا أقول فيما إلا حقاً). ولقد صح أن الرسول ﷺ أمر بنفسه بعض المزارعين إيقاف تأبير النخيل، ونُقل هذا الخبر إلى بعضهم. فخرج بعض التمر شيصاً (الشيص رديء التمر) ...

ولقد فهم بعض الناس هذا القول فهما خاطئاً دون أن يتأملوا المعاني الدقيقة التي يشملها هذا القول، ودون أن يفكروا أو يتأملوا في الحكمة من إيقاف تأبير النخيل، إذ خيل لبعضهم أن الرسول ﷺ لم يعلم بدور ووظيفة تأبير النخيل، وما هي الفائدة المرجوة من ذلك، كما خيل لهم أيضاً أن أمره ﷺ بإيقاف تأبير النخيل كان أمراً عارضاً حدث فقط عند مروره ببعض القوم الذين كانوا يقومون بتلقيح النخيل، في حين أنه لم يكن شيئاً من ذلك صحيحاً. فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه كان على علم ومعرفة تامة بدور ووظيفة التأبير والفائدة المرجوة منه.

اللازمة في الاختيار والتطبيق، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور ما يبدو ظاهرياً نوعاً من التعارض الوهمي بين نتيجة التطبيق وبين قول المصطفى ﷺ المتعلق بهذا الأمر، في حين أنه لو أننا فهمنا قول الحبيب المصطفى ﷺ فهما صحيحاً، وأدركنا المعاني الدقيقة من هذا القول تمام الإدراك، وطبقنا الطب النبوي التطبيق الصحيح السليم، لظهرت لنا مباشرة تلك الفائدة المرجوة من هذا التطبيق، غير أننا قد لا ننتبه إلى هذه الأمور عند تطبيق الطب النبوي لمعالجة مشكلاتنا الصحية، فكل مخلوق أو مادة توجد على هذه المعمورة تتخلق أو تتكون وفق فطرة ربانية سليمة، وبكل مخلوق نباتي أو حيواني يتغذى حسب هذه الفطرة تغذية معينة، وإذا وجدنا قولاً للحبيب المصطفى ﷺ يصف لنا مادة أو غذاء لعلاج مشكلة صحية معينة، فعلينا إذاً أن نستخدم هذه الأشياء وقد تكوّنت أو تحلّقت أو تغذت حسب الفطرة الربانية الصحيحة السليمة، أما إذا غير الإنسان في فطرة التغذية والتخليق، فعليه أن يتوقع أيضاً تغيراً في الأثر الصالح النافع المرجو من هذه الأشياء التي غير في فطرة تخليقها أو تغذيتها أو تكوينها.

"نُضِرَ الله امرأً سمع منا شيئاً

فبلغه كما سمعه فرب مبلغ

أوعى من سامع"

فهل أدرك هؤلاء الحكمة من أمره ﷺ؟

وكي تتأمل بيسر وسهولة الأحاديث التي وردت بخصوص إيقاف تأبير النخيل كان علينا أن نمر على جميع الأحاديث التي جاءت في هذا الشأن، فهذه الأحاديث تظهر لنا أموراً كثيرة منها:

١- أن ﷺ كان على علم ومعرفة بدور ووظيفة تأبير إناث النخيل وفائدة هذا التأبير ونفعه في إصلاح التمر من أول لحظة شاهد فيها عملية التأبير وذلك عندما أخبره الصحابة بدور ووظيفة هذا التأبير.

٢- أن أمره ﷺ بإيقاف تأبير النخيل لم يكن أمراً عارضاً بل كان يعنيه المصطفى ﷺ لحكمة مخفية، فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه كان يعرف خبرة المزارعين الطويلة في الزراعة عموماً، وفي زراعة النخيل خاصة، ويعرف باعهم الطويل في هذا المجال، وكان من البديهي - والله أعلم - أن الرسول ﷺ كان يعرف أن نتيجة عدم تأبير النخيل ستظهر مباشرة عند موسم الحصاد، وسيأتي الناس ليسألوه عن ذلك.

٣- بالرغم من أن الرسول ﷺ كان يعلم بأن أمر تأبير النخيل هو أمر دنيوي تظهر نتيجته بالإيجابية أو السلبية بالفعل أو عدم الفعل، وأنه ﷺ قد عرف دور ووظيفة التأبير، لكننا وجدنا أن الرسول ﷺ قد قام بالتحدث مع المزارعين وأمرهم بإيقاف تأبير النخيل، أو نقل هذا الأمر إلى بعضهم عن طريق الصحابة، كما ذهب إلى بعضهم بنفسه ﷺ ليأمرهم

بوقف تأبير النخيل، ثم عاد إليهم مرة أخرى بعد ظهور النتيجة ليسألهم بنفسه عن حالة تمرهم بعد أن صار شيصاً، وهو ﷺ على علم بذلك.

كل هذه الأمور تجعلنا نفطن بأن هناك أموراً خفية وحكمة لا نعرفها من وراء هذا العمل، فليس كل ما وصل لنا من قول أو فعل للنبي ﷺ يمكننا أن ندرك بشكل مباشر ما يقصده منه ﷺ، بل لا بد لنا أن نتأمل في ذلك حتى نتكشف لنا المعاني الدقيقة لهذه الأقوال أو الأفعال، وتظهر لنا منها الحكمة المخفية علينا، أو جزء من هذه الحكمة. لقد كشفنا في كتاب (لمحات مضيئة على أحاديث إيقاف تأبير النخيل) بعض الوجوه لتلك الحكمة الخفية من أمره ﷺ بإيقاف عملية تأبير النخيل، ووجوهاً أخرى من الإعجاز العلمي في أحاديث إيقاف التأبير، ونكشف اليوم وجوهاً جديدة.

فما هي هذه الوجوه؟ وإلى أي شيء تهدف؟

أهم هذه الوجوه يتمثل في الكشف عن أسلوب من أساليب الرسول المعلم ﷺ في التعليم، فالهادي البشير والسراج المنير والمعلم الكبير - صلوات ربي وسلامه عليه - كان ينوع أساليب التعليم، ولعل ما كتبه فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في كتابه: الرسول المعلم ﷺ وأسلوبه في التعليم، يظهر لنا أهم هذه الأساليب، إذ تمكن الشيخ أبو غدة أن يحصي (٤٠) أسلوباً من أساليب المصطفى ﷺ

في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، ذاكرًا أن المصطفى ﷺ كان يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّها تثبيتاً للعلم.

ثم ذكر أن من درس السنة وقرأها بإمعان رأى أن الرسول ﷺ كان يلون الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فكان تارة يكون سائلاً، وتارة يكون مجيباً، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيده على ما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه.

ولعل التفكير والتدبر في أحاديث إيقاف التأثير يجعلنا نضيف إلى ما ذكره فضيلة الشيخ أبو غدة، أسلوباً آخر من أساليب المصطفى ﷺ في تعليم كافة المسلمين، هذا الأسلوب يتمثل في التعليم من خلال نتيجة العمل، إذ يظهر أن هذا الأسلوب التعليمي من خلال أحاديث إيقاف التأثير وأحاديث أخرى. فقد كان الحبيب المصطفى ﷺ يعمد إلى تطبيق بعض الأمور حتى يجعل الناس يستشفون بأنفسهم حقيقة هذا الأمر من خلال النتيجة التي تظهر. وإذا ما غفل الناس عن هذه الحقيقة وضحها وبينها لهم. وهناك أمثلة مختلفة تبين لنا كيف كان الرسول ﷺ يعمد على تعليم الناس بهذا الأسلوب من خلال العمل والتطبيق، وجعل النتيجة كوسيلة تحت الناس على استدراك الحقائق بأنفسهم، فإن لم يفعلوا ذلك علمهم وأرشدتهم إليها. ومن أمثلة تعليمه ﷺ الناس أمور دينهم من خلال نتيجة العمل الإجابة على سؤال أحد الذين سألوا عن وقت صلاة الصبح وذلك من خلال التطبيق العملي. فقد جاء في الموطأ

للإمام مالك - رحمه الله - أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فسأله عن وقت صلاة الصبح، فسكت عنه رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد صلى الصبح حين طلع الفجر، ثم صلى الصبح من الغد بعد أن أسفر - أي بعد أن انكشف وأضاء -، ثم قال: (أين السائل عن وقت الصلاة؟) قال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: (ما بين هذين وقتاً).

وبالنسبة لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم من خلال أمره ﷺ بعدم التأخير، فإن هذا الأمر نستشفه من خلال سؤال يطرح نفسه، وهو: هل تعلم المسلمون شيئاً من أمره بعدم التأخير؟

لو تمعنا في هذا السؤال، لرأينا أن المسلمين قد تعلموا أشياء كثيرة من خلال نتيجة عدم التأخير، ومن ذلك ما يلي:

١- تأكدت للمسلمين أولاً وقبل كل شيء حقيقة أمور الدنيا وحقيقة أمور الآخرة. فأمر الدنيا ظنية لا تُعرف حقيقتها إلا من خلال الممارسة والتطبيق والتجربة. ولهذا قال الرسول ﷺ في مناسبة أمره بعدم التأخير: (إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشانكم به)، أما أمور الآخرة فهي حقائق لا يجد الظن إليها أبداً أي طريق أو أي ثغرة، فهي أمور قطعية، ولا بد لنا أن، نرجعها إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وإلى سنة الحبيب المصطفى ﷺ. ولذا فقد قال الرسول ﷺ في نفس المناسبة:

"وإذا كان شيئاً

من أمر دينكم فإليّ"

٢- تعلم المسلمون أن إخضاع الشيء الديني للتجربة والتطبيق يكشف لهم عن الحقيقة الدنيوية الخاصة بهذا الشيء، وبما أن أمور الدنيا ظنية تدخل في دائرة الظن، فلا يمكن الخروج من هذه الدائرة إلى دائرة اليقين إلا عن طريق التجربة. بل إن معظم الحقائق العلمية التي كشف العلم النقاب عنها بدأت أولاً بالظن، فالشيء الديني الذي يُظن بحدوثه أو عدم حدوثه لا يمكن أن تُعرف حقيقته يقيناً ما لم نلجأ إلى التجربة والتطبيق، ونتائج التجارب الصحيحة هي التي تظهر هل حقيقة الظن إيجابية أم سلبية، ويبقى أمر الظن فيما يخص أمور الحياة في هذه الدنيا معلقاً لا يعرف صاحبه هل ظنه صحيحاً أم خطأ ما لم يخضع هذا الأمر الديني للتجربة والتطبيق، فغالب الاكتشافات العلمية والحقائق لم يعرف حقيقتها الإنسان إلا بعد أن أخضع الأشياء التي يظن بحدوثها للتجارب التطبيقية. فأساس كشف الحقائق يعتمد على الظن، والتجربة هي المحك الذي يوضح هل هذا الظن صحيحاً أم خطأ. فصدق من لا ينطق عن الهوى، وأليس هو القائل في بعض أحاديث إيقاف التأثير: (وإن الظن يخطئ ويصيب) ﷺ وحتى تتجلى حقيقة هذا القول للعالم بأسره، كانت وقائع إيقاف التأثير هي التجربة والتطبيق الذي عرف الناس من خلاله كيف كانت حصيلة النخيل المحبة للقاح، غير أنه لم ينتبه الناس إلى الجانب الآخر من نتائج هذه التجربة، وهو الجانب الإيجابي المتمثل في معرفة تلك الأنواع من النخيل القنوعة بالقاح عن طريق الرياح والحشرات، والتي لا تحتاج إلى تأبير. فتجربة إيقاف التأثير أظهرت هذه الأنواع، غير أن نقص الحصيلة بصفة العموم في ذلك العام ربما جعل الناس لا

ينظرون إلى تلك النخلات التي أنتجت ثمراً طيباً من غير تأبير. ونعز ونفخر بأن المنهج العملي الذي يتبعه علماء هذا العصر للكشف عن الحقائق العلمية إنما سبقهم به رسول الهدى ﷺ فهو الذي أقر بأن أمور الدنيا لا يقف على حقيقتها وواقعها إلا من يعمل ويمارس عمله على الأمر الديني المعني، ويخضع هذا الأمر للتجربة والتطبيق، ولهذا فإننا نرى أن المصطفى ﷺ قد قال لمن خص من المزارعين بالزيارة لإيقاف تأبير النخيل وخصهم بالزيارة بعد ذلك عند ظهور النتيجة (أتم أعلم بأمر دنياكم)، ولم نجد في أحاديث إيقاف تأبير النخيل أنه قال هذا القول لغيرهم.

٣- تعليم المسلمين الأخذ بالأسباب في أمور الدنيا مع التوكل على الله. فالله سبحانه وتعالى خالق الأشياء وهو سبحانه مسبب الأسباب. فتأبير النخيل يعتبر سبباً من الأسباب الذي جعله المولى سبحانه وتعالى لعقد ثمار النخيل شديدة ومتوسطة الرغبة في التلقيح، فلا بد للإنسان أن يأخذ بالسبب ويتوكل على الله، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل على الله، بل يشترط الأخذ بالأسباب.

ولأن عدم الأخذ بالأسباب في الأمور الدنيوية هو من التواكل وليس من التوكل، لذا نجد أن تشريعات الإسلام تؤكد على الإنسان دائماً بأن يسعى في طلب الرزق مع توكله على الله، وألا يتواكل، والقرآن الكريم مليء بما يحث الإنسان على ذلك، وكان المصطفى ﷺ لا يترك فرصة مناسبة يجد فيها ما يعلم فيها المسلمين أمور دينهم ودنياهم إلا وقد أخذ بها... لذا فقد قدم الهادي البشير والسراج المنير صلوات ربي وسلامه عليه عندما أمر بعدم تأبير النخيل المحبة

الواضحة والبرهان القاطع لكل من سَوَّلَ له نفسه على التواكل، وأثبت أن الأمور الدنيوية تتطلب العمل والجد والاجتهاد، وأن الإنسان الخامل لا يمكن أن يحصل ويحني أي مكسب ما لم يعمل، ولهذا فكأننا بعدم تأبير النخيل نقول للمتواكلين: (انظروا إلى حصيلة ما يجنيه المتواكل).

وحتى لا يخطئ أحدنا ويتساءل: هل كان الصحابة الذين كانوا يشتغلون بزراعة النخيل متواكلين كي يخصهم الرسول ﷺ بهذا الأمر، فنقول: حاشا وكلاً، فالصحابه رضوان الله عليهم أجمعين كانوا قدوة في التوكل على الله، ولكن الحبيب المصطفى ﷺ وكما سبق أن أشرنا كان يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في النفس ولأن التواكل في الإسلام محظور، فكان لابد من تقديم دليل قاطع لكل الناس يفهمون منه مباشرة ما نتيجة التواكل إن فكروا أن يقدموا على هذا الأمر، وأحسن الأدلة والأمثلة التي يجب أن تقدم للناس لإدراك مفهومها بسرعة وسهولة، هي تلك الأدلة التي تنبع من نفس البيئة التي يعيش فيها الناس، ولقد عاش المسلمون الأوائل في بيئة فيها زرع ونخيل، وفهموا وأدركوا أمور هذه الزراعة وحصيلتها، لذا فأحسن دليل نجده في بيئة المدينة يدل على سلبية عدم القيام بالأعمال التي تتطلبها أمور الحياة، هو إيقاف التأبير، والله أعلم.

(*) تعليق "الإعجاز": إضافة إلى ما جاء به د. عبد البديع زللي مشكوراً، نجد أن عامة المسلمين وخاصة علماءهم، لا يجدون حرجاً في البحث عن سبب وجيه لأي أمر بدر عن رسول الله ﷺ، ربما غاب عن الأذهان لفترة معينة. فللمعلم الأول ﷺ سبق التوصل إلى كثير من الأمور العلمية والروحية، لا يزال بعضها إلى يومنا هذا، عصياً على أصحاب الاختصاص دون أن يراود المسلم المؤمن الصادق أدنى شك في صحة علم خير البشر وسيدهم ﷺ، وهو الذي لا ينطق إلا وحيًا، كما قال ربنا سبحانه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)) [النجم]. لذلك رأت "الإعجاز" أن تلقي الضوء على أمر كان يشغل بال رسول الله ﷺ في كثير من الأوقات وهو التوحيد، وألا يداخل المؤمنين أدنى شك بأن (الرب رب والعبد عبد)، ولربما أثر رسول الله أن يقوم بحركة أخيرة منه في موضوع تأبير النخل، تنزه الله تعالى، في فكر البعض، عن الشريك وعن الحلول، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظَرَّتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

<http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/81-Number-XXIII/730-Do-you-really-kind-of-wisdom-in-the-words-of-the-prophet>

المصادر:

- ابن أنس، الإمام مالك، الموطأ، تصحيح وترقيم الأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب الدينية.
- ابن حنبل الإمام أحمد (164 - 241هـ): مسند الإمام أحمد. ط بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ / 1993م.
- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ط2، مج، بيروت: دار المعرفة، 1407هـ / 1987م.
- زلي، عبدالبديع حمزة، لمحات مضيئة على أحاديث تأبير (تلقيح) النخيل، ط1، المدينة المنورة، 1418هـ.
- زلي، عبدالبديع حمزة، وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الجزء الأول: الإعجاز العلمي البلاغي واللغوي، ط1، المدينة المنورة، 1419هـ.
- زلي، عبدالبديع حمزة، مقدمة لعلوم التلوث البيئي، الجزء الأول: تلوث الهواء ط1، المدينة المنورة، 1419هـ.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. ط1، القاهرة: دار البيان للتراث، 1407هـ / 1986م.
- يويريش، ن، العلاج بالعسل بيروت: دار القلم، ترجمة محمد الجلوجي.
- «صحيح البخاري» (4 / 167 ط السلطانية) عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.



إلغاء أفغانستان لنظام الربوي في المصارف

الشيخ الدكتور المحامي محمد أسد صفوف (*)

أهمية وفوائد إلغاء الفوائد

في عالم مالي ومصرفي متخبط يحكمه ورم خبيث يدعى النظام الربوي أو ما تسمى بالفائدة، أساسه الاقتراض والاقتراض دون أي إنتاج حقيقي فعلي، نظام يمعن في فصل الكسب المالي عن النشاط التجاري والاستثمار وفي ذلك تدمير ممنهج لعجلة الانتاج، الأمر الذي يحقق الظلم الاجتماعي ويحث الناس على الكسل. تكمن خطورة هذا النظام بتحويل وظيفة المال الأساسية والفعلية من أداة لإيفاء للبيع والشراء الى سلعة يتم إقراضها للحصول على زيادة على أصل منها ألا وهو المال، واليوم أصبحت العيون شاخصة على الفيدرالي الأميركي لرفع او استقرار او تخفيض هذه الفائدة، دون أية مبررات علمية سوى تأخير الأزمة الاقتصادية العالمية المرتقبة، واللافت كثرة هذه التصريحات في الآونة الأخيرة حتى أصبحت الشغل الشاغل لمختلف القطاعات الاقتصادية والمالية، قد بدا التدهور الدراماتيكي لبعض

المصارف العالمية بحيث يهوي واحد منهم تلو الآخر، إنها أسماء عملاقة بميزانيات ضخمة، لكنها فعلياً ليست سوى فقاعات ربوية، ومنها كان بنك كريدي سويس (Credit Suisse) في مارس ٢٠٢٣، مما أدى إلى استحواذ منافسه يو بي إس (UBS) عليه بدمج طارئ تحت عنوان براق "رعاية للاستقرار المالي العالمي".^(١)

خطوة لافته



مغامرة مدروسة أم مقامرة منقوصة

مما لا شك فيه ان التحديات جمة، سيما وأن أفغانستان تحاول بشتى الطرق العمل على إعادة بناء اقتصادها وسط ضغوطات داخلية وخارجية، ومن الخبراء من أقرّ بأنها مغامرة مالية غير محسوبة وعشوائية، بينما يصفها خبراء آخرون بالمغامرة المحسوبة، وبكل الأحوال تبقى العبرة في التنفيذ، وأن هذه التجربة الجديدة تستحق التأمل، والأهم أنها تجربة تستحق منحها الوقت الكافي لبناء الاستنتاجات عليها ونستقي منها العبر على كافة المستويات المالية المصرفية والاقتصادية ككل. فلا يمكن الحديث عن تقديم نموذج يحتذى في غضون سنوات قليلة، لاسيما وأنا قد رأينا لسنوات طوال التأثير الشديد للفائدة على الإنتاج والاستثمار والتوزيع، وأن النظام الربوي كان السبب الرئيسي في الأزمات الاقتصادية المتتالية.

وفي خطوة لافته وجريئة تعدّ من أبرز التحولات في النظام المصرفي والمالي في الاقتصاد الحديث، قامت الدولة الأفغانية (طالبان) وبعد مرور ما يقارب خمس سنوات على تسلمها للسلطة، بالإعلان عن عزمها على التحول نحو نظام مصرفي متوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، أي نظام غير ربوي لا مكان للفائدة البنكية فيه. ويأتي هذا القرار المفصلي الذي دخل حيّز التنفيذ في مطلع ابريل من العام ٢٠٢٦ والذي يقضي بإيقاف العمل بالفائدة البنكية ليشمل جميع المصارف (ومن ضمنها المصرف المركزي)، وهذا أمر إضافي لافته، بغية تقديم نموذج مصرفي إسلامي أحادي، وعليه تكون فيه السلطة قد أعلنت عن البدء بتطبيق نظام مصرفي إسلامي شامل، وذلك بهدف إعادة تشكيل القطاع المصرفي وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ووفقاً لأدوات ومعاملات الاقتصاد الإسلامي المتكامل^(٢). وعليه يضع هذا القرار حداً للمنظومة المصرفية التقليدية والتي استمرت لعقود، لا سيما خلال فترة التواجد الأمريكي، كما يضع أفغانستان تحت المجهر الاقتصادي المالي.

أهمية وفوائد إلغاء الفوائد

قد بين القرآن الكريم حال المتعاملين بالربا يوم القيامة حيث يقومون من قبورهم كالجانين والمصروعين ويعذبون في النار لعدم انتهائهم عن التعامل بالربا، حيث يقول الحق في كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٥]

هذا وتنتظر الشريعة الإسلامية إلى المال بوصفه أداة إيفاء ووسيلة لتبادل القيمة وليست سلعة أو خدمة بعينها، فهي وسيلة لتحريك عجلة الإنتاج وبالتالي لتنشيط الدورة الاقتصادية فلا بد لنا ان ننظر الى علّة تحريم الربا الذي يكرّس اقتصاد الكسل، وما الأزمة الاقتصادية العالمية الاخيرة العام ٢٠٠٨ الا خير دليل حيث قامت المصارف الاسلامية بأشكالها المتعددة بالصمود وعدم التأثر، وهي مما لا شك فيه تجربة جديدة فقهية معاصرة حيث أن العديد من المصارف الربوية عقب الأزمة العالمية الأخيرة قامت بإنشاء نوافذ لتقديم خدمات الصيرفة الإسلامية

ليست العبرة بالألفاظ والمباني بل العبرة بالمقاصد والمعاني

إن عملية تحويل بنك ربوي تقليدي إلى إسلامي ليست عملية تغيير أسماء فحسب، وذلك ليس انتقاصاً لا من قيمة المسميات ولا من قيمة وأهمية الكلام، فللذين يتهمون بأن تجربة الصيرفة الإسلامية العالمية والتي تعتبر مازالت قصيرة نسبياً، لم تقدم سوى تغيير في المسميات، وعلى الرغم من عدم حقيقة ما تقدم، إلا أنه لا بد للتنويه لأهمية الكلمة، فكلمة يدخل المرء إلى الإسلام، وبكلمة يخرج منه، وبكلمة يصبح الحرام حلالاً كلفظ الزواج وبكلمة يصبح الحلال حراماً كلفظ الطلاق على سبيل المثال. وبناءً على ما تقدم فإن الأمر أبعد من الألفاظ والمباني بل يدخل إلى عمق المقاصد والمعاني، بالإضافة إلى المتطلبات العلمية لتغيير كل البرمجيات الاستثمارية، والمالية، والقانونية، وهذه من الأدوات التي شرعت البنوك الأفغانية باعتمادها، وقد سبق اعتمادها من قبل الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، والمؤسسات المالية الإسلامية الدولية^(٣).



نظراً لاستقرارها وصمودها، وفي هذا استدلال على الإعجاز التشريعي ولا بد للوقوف عنده، فالشريعة الإسلامية منهج متكامل لكافة جوانب الحياة.

ولقد أوفى الفقهاء والمفكرين كلمة (الربا) حقها، من الشرح والتوضيح، وبناءً على ما تقدم فإن الفائدة لغةً هي ما أفاء الله تعالى على العبد من خير يستفيد منه ويستخدمه وقيل أيضاً بأن الفائدة هي ما استفادت من علم أو مال والجمع فوائد. وهذا معنى عام يشمل المال وغيره سواء أكان المال مكتسباً بوجه مشروع أم لا.^(٤)

أما الفائدة في الاصطلاح الفقهي فهي: ما تجدد - أي نتج - لا عن مال، كميراث وعطية أو عن مال غير مركي، كالزائد من ثمن عروض القنية إذا بيعت بأكثر من ثمن الأصل فهذه كل فائدة مستفادة.^(٥)

أما الفائدة في الاصطلاح المصرفي فهو: الثمن المدفوع نظير استعمال النقود وهو بعيد عن معنى الفائدة في الاصطلاح الشرعي. ويختلف أيضاً معناه عن معنى الربح كونه يمثل المبلغ الزائد عن ثمن السلعة المشتراة منذ البداية بنية بيعها تجارياً، أما إذا لم يكن الزائد عن ثمن سلعة مشتراة بغرض ونية الإتجار بها فإنه لا يسمى ربحاً، وقد يسمى فائدة.^(٦)



وحق لا يطالعنا أحد المتفتيحين بأن الربا أمر والفائدة أمر آخر، نقول هذا أمر الله ومراده، فن باب تأكيد المؤكد والبديهي أن يتطابق معنى الربا على الفائدة المصرفية لقول النبي ﷺ: «كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبَا»^(٧) وحبذا لو تأملنا في البيان اللغوي في آيات الربا لاسيما مصطلح الحق، في قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾
[البقرة: ٢٧٦]

الحق: كلمة تدلّ على النقصان، ومحققه: نقصه، والمحاق: آخر الشهر إذا تحقّق الهلال. ومحقه الله أي ذهب ببركته. وفي هذه الآية أيضاً يستدل بالإعجاز الغيبي الذي تحدث عنه الحق سبحانه وتعالى، وهذا ما تحقق فعلاً خلال الأزمات المالية وبخاصة الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨ والتي ما زالت آثارها تجرّ إلى اليوم.

وللأسف فإن الأزمة المصرفية الأخيرة في لبنان خير شاهد ودليل على ذلك، فقد كانت المصارف تضع أموالها في المصرف المركزي طمعاً بالفوائد الالامنتطقية، وبالتزامن والتوازي كان الناس يهرعون لإيداع أموالهم في المصارف نظير الفوائد المرتفعة أيضاً، حتى محق الله عز وجل هذه الأموال وبددها.

ولا بد من إبراز حقيقة أن هذا النظام المصرفي العالمي القائم على الربا هو عَرَّاب التوزيع غير العادل للثروة، فمن النظرية يتجلى في أجمل حُلة عبر تبني القضايا المجتمعية وتقديم الخدمات المتألفة، إلا أن التطبيق الإستراتيجي بعيد كل البعد عن ذلك.

فمن الناحية النظرية لعمل النظام المصرفي الربوي يتجلى العدالة بأحلى صورها من خلال القوانين والتشريعات والمتطلبات التنظيمية التي تراعي الإنسان وتضوّن كرامته وتحفظ حقوقه لاسيما في التنمية الاجتماعية وتوزيع الثروة بين المجتمع، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التوزيع العادل في الاقتصاد ككل يقوم على أساسين:

الأول: إن العامل أحق بثمرة عمله من غيره وهذا ما يحفزّه على بذل جهد أكبر في الإنتاج مما يعود بالرفاهية والتقدم للمجتمع ككل.

الثاني: التوفيق بين المصلحة الخاصة للفرد والمصلحة العامة للمجتمع قدر الإمكان، فإن حدث تعارض تُقدّم مصلحة المجتمع بلا شك لأن "المصالح العامة مقدّمة على المصالح الخاصة" (٨).



أما من الناحية التطبيقية للعمل المصرفي فإن الصورة مختلفة تماماً، حيث يتجلى قصور هذا النظام في تحقيق العدالة، وأهمها أسباب عدم العدالة في توزيع الثروة من خلال النظام المصرفي والتي تمثل تمركز رأس المال بيد فئة قليلة من الناس واحتكارها، مما يؤدي إلى اتساع التفاوت الاجتماعي واتساع الهوة الطبقية بالإضافة إلى أسباب أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها. تجدر الإشارة إلى أن الفائدة البنكية أو الربا تقوم بإعاقة "حركة الحياة" وهذا مبدأ أساسي، حيث توقف عجلة الإنتاج وتفصل رأس المال عن الإنتاج عبر حثّ رأس المال على الكسل وعدم الإنتاج مما يساهم مباشرة في التوزيع غير العادل للثروة وتكديس المال في يد قلة قليلة في المجتمع، وبالتالي بناء اقتصاد الفقاعة المبني على عدم الإنتاج الأمر الذي تنجم عنه الأزمات الاقتصادية المتتالية.

مشروع المصارف الغربية لتخفيض الفائدة
الى صفر- يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

MORNINGSTAR

المقالة، التي كتبها لوكاس ستروبل في ١٩ حزيران من العام ٢٠٢٥، لدى منصة Morningstar وهي إحدى أبرز المؤسسات العالمية المتخصصة في البحث والتحليل المالي وتقديم الخدمات الاستثمارية قد سلطت الضوء على قرار البنك الوطني السويسري (SNB) بخفض أسعار الفائدة إلى

وسياسية للذين يصرون على اتهام النظام المالي الإسلامي بالتخلف والرجعية، بينما هم يتجهون نحوه على الرغم منهم.



صفر وذلك لمواجهة خطر انكماش الأسعار، وذلك بعد استقرارها في المستويات الإيجابية منذ أواخر عام ٢٠٢٢. وجاءت هذه الخطوة تحت ضغط التدفقات المالية الكثيفة نحو الفرنك السويسري باعتباره ملاذًا آمنًا في ظل الحروب التجارية والتقلبات العالمية، مما أدى إلى ارتفاع قيمته والإضرار بالاقتصاد المحلي، بالتزامن مع تراجع أسعار المستهلكين بنسبة ٠,١٪ في مايو/ أيار. وفي هذا السياق، أوضح مايكل فيلد كبير استراتيجيي الأسواق الأوروبية عبر المنصة ذاتها، أن القرار يُعدّ تدبيراً حكيماً رغم أنه يحدّ من مساحة المناورة المستقبلية للبنك.

وهذا جروم بول-رئيس الفيدرالي الأمريكي السابق في أحد تصريحاته يقول: "أقدمنا على خفض الفائدة إلى نطاقها الأدنى (٠٪ - ٠,٢٥٪) لضمان تيسير التدفقات الائتمانية للأسر والشركات، ولتزويد الاقتصاد بالدعم الحاسم الصامد خلال أكثر الفترات ضغوطاً".^(٩)

وبالإضافة إلى ما تقدم، هذا ماريو دراغي - الرئيس

السبق للبنك المركزي الأوروبي قد صرّح سابقاً: "إن خفض أسعار الفائدة إلى الصفر وتجاوز ذلك نحو مستويات سلبية كان وسيلة ضرورية للغاية لتحفيز الإقراض المصرفي، ودفع التضخم نحو مستوياته المستهدفة، وإحياء النمو الاقتصادي داخل منطقة اليورو".^(١٠)

في الخلاصة، ليس ما قامت به الدولة الأفغانية من إلغاء للربا غريباً عن أحدث ما توصل إليه كبار الخبراء الماليين في الغرب، وإنما المستهجن هو هذه المبادرة المفاجئة التي إذا نجحت ولو جزئياً قد تشكل صدمة مالية واقتصادية وإعلامية

وفي الختام لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وخير ما نختم به مقالتنا هذه كلام الله عز وجل، وهو القائل في محكم تنزيله:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٤٦]

(*) الشيخ الدكتور المحامي محمد أسد صفصوف: عضو الهيئة الإدارية لمنتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان.

المصادر:

- (1) The UBS-Credit Suisse Integration: Implications for Switzerland's Banking Sector | SIGTAX
- (2) فضل القاهر القاضي، "اقتصاد حقيقي أم انكماش نقدي.. تباين القراءات بشأن إلغاء الفائدة في أفغانستان"، تقرير صحفي، شبكة الجزيرة الإعلامية (الجزيرة نت)، تاريخ النشر: 29 أبريل 2026.
- (3) د. حلمي الفقهي، "إلغاء المعاملات الربوية في البنوك الأفغانية والتحول للنظام المصرفي الإسلامي"، مقال تحليلي، نُشر بتاريخ: 19 أبريل 2026 (بتصرف).
- (4) عبد الله الأمين، حسن. حكم التعامل المصرفي المعاصر بالفوائد، المملكة العربية السعودية: المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ورقة معلومات أساسية رقم 7، 1434هـ = 2003م، ص 25.
- (5) الدسوقي، محمد بن أحمد. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لبنان: دار الفكر، ج1، ص 431.
- (6) عبد الله الأمين، حسن. حكم التعامل المصرفي المعاصر بالفوائد، ص 26.
- (7) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير دار الكتب العلمية، الجزء 3، صفحة 53.
- (8) الخادمي، نور الدين بن مختار. علم المقاصد الشرعية. ط 1. الرياض: مكتبة العبيكان. 2001 م = 1422هـ. ص 45.
- (9) بيان لجنة السوق المفتوحة الفيدرالية (FOMC) - مارس 2020، ومحاضر الاحتياطي الفيدرالي لعام 2020
- (10) المؤتمرات الصحفية وقرارات السياسة النقدية - البنك المركزي الأوروبي (ECB Economic Bulletin, 2016-2019)

علوم

المستقبل

في

القرآن الكريم

أ.د. يحيى وزيري(**)



لم يكن القرآن الكريم يوماً كتاباً تقنياً أو موسوعة في العلوم التجريبية، فتدبر آياته يكشف عن أفق معرفي واسع يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويضع الإنسان أمام رؤية كونية متكاملة تحرّره من أسر اللحظة التاريخية، وتدعوه إلى التفكير في الممكن لا في المألوف وحده، ومن هذا المنطلق، يبرز التساؤل حول علاقة القرآن بما يُعرف اليوم بـ"علوم المستقبل"، تلك العلوم التي تُعنى باستشراف مسارات التطور العلمي والتقني، اعتماداً على السنن الكونية والقوانين الحاكمة للوجود.

تجاوز قيود الزمان والمكان

من أبرز النماذج القرآنية ذات الطابع الاستشرافي، ما ورد في سورة النمل في قصة إحضار عرش ملكة سبأ:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾

[النمل: ٤٠]

فهنا يقرّ النص بإمكان نقل جسم مادي ضخم في زمن يكاد يكون لحظياً، دون انخوض في آلية النقل أو قوانينه، وهذه الصيغة ليست تفصيلية، لكنها كاشفة؛ إذ تهدم التصور السائد بأن الحركة تخضع بالضرورة للبطء والتدرج.

ومع تطور الفيزياء الحديثة، ظهرت مفاهيم مثل فيزياء المعلومات والنقل الكمّي، التي أعادت طرح أسئلة جوهرية حول حدود الزمان والمكان، ومع ذلك يبقى الفرق واضحاً: العلم يبحث في الآليات، والقرآن الكريم يفتح أفق الإيمان، دون أن يُقيّد النص بنظرية قابلة للتبدل أو النقص.

هل تضمّن القرآن الكريم إشارات إلى علوم وتقنيات مستقبلية لم تكن معروفة زمن التنزيل؟ وإن كان الأمر كذلك، فما طبيعة هذه الإشارات؟ وما حدود التعامل العلمي معها، دون الوقوع في التكلف أو الإسقاط غير المنضبط؟

إن القرآن الكريم حين يقدم تنبؤات علمية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فهو لا يفرض على النصوص دلالات تجريبية محددة، لكنه يرسّخ مبدأً بالغ الأهمية، هو أن الكون أوسع من إدراك الإنسان في مرحلة معرفية واحدة، وأن سننه قابلة للاكتشاف المتدرج، وهذا ما يجعل الخطاب القرآني محفزاً دائماً للعقل لا مُقيداً له.

الاستشراف العلمي في المنظور القرآني

يُعرّف الاستشراف العلمي بأنه محاولة منهجية لفهم الاتجاهات المستقبلية المحتملة، انطلاقاً من معطيات الحاضر والقوانين الثابتة، وهو يختلف جوهرياً عن التنبؤ الغيبي أو الخيال غير المنضبط، إذ يقوم على تحليل عقلائي للسنن، مع الإقرار بحدود المعرفة الإنسانية.

وفي هذا السياق، يقدم القرآن الكريم نموذجاً فريداً؛ فهو لا يُفصّل "كيف" ستحدث الأمور، بل يقرّ بإمكان حدوثها، محرراً العقل من الاعتقاد بأن ما لم يُكتشف بعد هو مستحيل بالضرورة. ومن هنا تنشأ العلاقة الدقيقة بين الوحي والعلم؛ علاقة تكامل لا تصادم، وتوجيه لا إحلال.



التواصل مع غير الانسان

ويقدم القرآن الكريم في سورة النمل أيضاً، نموذجاً آخر يعزز فكرة التواصل المنظم لدى الكائنات غير البشرية، وهو حوار المهدد مع نبي الله سليمان عليه السلام، في قوله تعالى على لسان المهدد حيث يظهر الكائن غير البشري (المهدد) قادراً على الرصد والتحليل ونقل المعلومة الدقيقة.

في مشهد آخر من سورة النمل، يتجلى بُعد معرفي بالغ الدقة، وهو فهم سيدنا سليمان عليه السلام لكلام النمل، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾

[النمل: ١٩]

﴿... فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ

سَيِّئِ بَنِي إِعْنَ

[النمل: ٢٢]

فالآية لا تكتفي بإثبات وجود تواصل لدى النمل، بل تشير إلى كونه "قولاً" ذا دلالة ومعنى، وقد ظلّ هذا المفهوم موضع استغراب طويل، إلى أن كشفت الدراسات الحديثة في علم سلوك الحيوان، عن نظم تواصل معقدة تعتمد على الإشارات الكيميائية والصوتية والحركية.



الإدراك الحسي وحدوده

ويكشف القرآن الكريم عن إدراك عميق لطبيعة الرؤية الإنسانية وحدود الحواس، من خلال مشهد دخول ملكة سبأ لصرح سيدنا سليمان عليه السلام إذ يقول تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ۚ

[النمل: ٤٤]

في تصوير بليغ لوهم بصري ناتج عن توظيف ذكي للمادة والضوء والشفافية.

فالسطح الصلب بدا ماءً جارياً، لا لقصور في الرؤية، بل لتوجيه الإدراك عبر تصميم معماري محكم ومبتكر.

ويكتسب هذا المشهد بعداً استشرافياً عند مقارنته بما وصلت إليه التقنيات المعاصرة في تصميم الأرضيات التفاعلية، التي تعتمد على الخداع البصري والاستجابة الحسية لتشكيل تجربة إدراكية متكاملة، كما في المتاحف الذكية والفضاءات التعليمية والبيئات الافتراضية، غير أن القرآن الكريم لا يقدم هذا المشهد بوصفه استعراضاً

تقنياً، بل باعتباره درساً معرفياً وأخلاقياً يؤكد أن الحواس ليست معياراً مطلقاً للحقيقة، وأن الإدراك الإنساني قابل للتأثير والتوجيه.

وبهذا يكشف العرض القرآني عن رؤية معرفية مبكرة، تقرّ بتعدد أنماط الوعي والتواصل في الكون، وتحرّر العقل الإنساني من وهم التفوق المطلق في الإدراك. وفي ضوء ما توصّلت إليه علوم السلوك الحيواني الحديثة وتقنيات تحليل الإشارات الحيوية، يتبين أن القرآن لم يكن بصدد تقديم توصيف علمي تفصيلي، بل كان يرثخ مبدأً استشرافياً عميقاً، مفاده أن الكون شبكة متداخلة من الكائنات المتواصلة، وأن فهمه لا يكتمل إلا بالانفتاح على هذا التنوع الإدراكي ضمن سنن كونية لم تكشف جميع أبعادها بعد.

وهنا، يرثخ النص القرآني مبدأً معرفياً، هو أن الإنسان ليس الكائن الوحيد القادر على التنظيم والتواصل، وأن فهم الطبيعة يقتضي تواضعاً معرفياً قبل أي ادعاء بالهيمنة. وهذا البعد الأخلاقي يعدّ من الخصائص الفريدة للرؤية القرآنية في التعامل مع الكون.





﴿أَتُونِي زُرَّ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

[الكهف: ٩٦]

ومن ثم، فإن الخطاب القرآني يضع إطاراً فلسفياً واعياً للتعامل مع تقنيات الإيهام البصري الحديثة، داعياً إلى توظيفها في خدمة الوعي والمعرفة، لا في صناعة الوهم أو تضليل الإنسان عن جوهر الواقع. ويفتح هذا المعنى الباب أمام تطور تقنيات الإيهام البصري، والواقع الافتراضي، والهندسة الإدراكية، دون أن يكون النص حبيس هذه التطبيقات. فالقرآن الكريم هنا، ينبّه إلى محدودية الحواس، ويدعو إلى عدم اختزال الحقيقة في التجربة الحسية وحدها.

الهندسة وعلوم المواد

وهو وصفٌ يكشف عن سبق مبكر بخصائص المواد، وبأثر المعالجة الحرارية في تغيير بنيتها وزيادة صلابتها، ثم تعزيزها بمعدن آخر يمنحها مقاومة أعلى، في تصورٍ يقترب في مفهومه من تقنيات السبائك والطلاء المعدني المتقدمة في الهندسة الحديثة. غير أن البعد الاستشرافي في هذا المشهد لا يقف عند حدود التقنية، بل يتجلى في فلسفة الاستخدام؛ فالردم لم يُشَيّد للهيمنة أو الاستعراض، وإنما لحماية الإنسان من الفساد والعدوان، وهو ما يؤكد أن المعرفة العلمية في المنظور القرآني، لا تنفصل عن الغاية الأخلاقية.

يقدم القرآن الكريم في قصة ذي القرنين بسورة الكهف، نموذجاً بالغ العمق لمفهوم الهندسة المرتبطة بالقيم، حيث لا يُعرض الردم بوصفه بناءً مادياً فخسب، بل مشروعاً حضارياً متكاملًا يقوم على العلم والمسؤولية معاً، يقول تعالى:

الطاقة والتقنية في ضوء سورة سبأ

في سورة سبأ يبين الله تعالى بعض النعم التي وهبها للأنبياء، ومنها ما يمكن قراءته في ضوء الطاقة والمواد وتقنياتها في خدمة الإنسان والعمران، يقول الله تعالى:

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾

[سبأ: ١٠]

وهنا يتحدث الله عن فضل عظيم أعطي للنبي داود عليه السلام بأن جعل الله الحديد له ليناً، ليسهل تشكيله واستخدامه في الصناعة والبناء والأدوات، وهذا دلالة على فتح المجال لفهم الإنسان لخصائص المواد وكيفية توظيفها في العمل العمراني. وتستمر السورة في الحديث عن النبي سليمان عليه السلام، يقول تعالى:

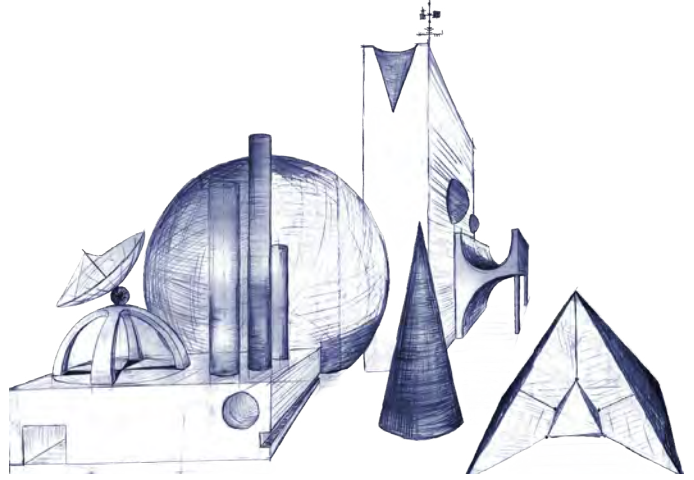
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا﴾

﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفُطُرَ﴾

[سبأ: ١٢]

في هذه الآية يشير الله تعالى إلى تسخير الريح لسليمان عليه السلام بحيث يسافر بها لمسافات طويلة في أوقات قصيرة، وهو مثال مبكر على استثمار طاقة الرياح لتحريك المركبات والتنقل، ويمكن النظر إليه كإشارة إلى فكرة الطاقة المتجددة، وتسخير قوى الطبيعة لخدمة الإنسان.

ويكتمل هذا المعنى حين يقرّ ذو القرنين بحدود الإنجاز البشري بقوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]، ثم يذكر بزوال أي منجز مادي أمام سنن الكون: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨]، ومن ثمّ، يرسم القرآن الكريم إطاراً استشرافياً للتعامل مع علوم المستقبل، يقوم على توظيف التقدم الهندسي والتقني في خدمة الإنسان، مع وعي دائم بأن القوة العلمية مهما بلغت، تظل مقيدة بقيم الرحمة، وبحدود الإنسان أمام القوانين الكونية العليا.



كما يذكر الله تعالى في الآية نفسها، إسالة النحاس المصهور (عين القطر) الذي يمكن استخدامه في صناعة الأدوات المختلفة، مما يعكس فهماً عميقاً للمواد وطبيعتها واستخداماتها في خدمة العمران. هذه النماذج في سورة سبأ، تظهر أن القرآن الكريم لا يكتفي بالإحياءات الروحية فقط، بل يقدم إشارات عن كيفية توظيف الطاقة والمواد في خدمة الإنسان، مما يمكن أن نستفيد منه اليوم عند الحديث عن الطاقات المتجددة وتطوير المواد في الحضارة الحديثة.

الكون المفتوح وآفاق الاكتشاف

تتسع الرؤية القرآنية لتشمل الكون بأسره كما في قوله تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا
تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

[الرحمن: ٣٣]

فالآية لا تمنع الاختراق، بل تربطه بالقدرة والعلم، مؤكدة أن العجز ليس أصلاً كونياً، بل حالة معرفية قابلة للتجاوز، وهذا المعنى ينسجم مع روح الاستكشاف الفضائي المعاصر، دون أن يحول النص إلى بيان تقني أو وعد علمي مباشر.

إن أخطر ما يواجه الدراسات المعاصرة في الإعجاز العلمي، هو إسقاط النظريات المتغيرة على النص القرآني الثابت، مما يعرض النص لتقلبات العلم بدل أن يبقى مرجعاً موجّهاً له، والمنهج الرشيد يقتضي التمييز بين الإشارة الكلية والتفسير التفصيلي، وبين فتح الأفق المعرفي وربط النص بنموذج علمي مؤقت. فالقرآن الكريم لا ينافس المختبر، لكنه يوجه العقل الذي يدخله.

يقدم القرآن الكريم رؤية استشرافية متوازنة للكون والحياة، رؤية لا تفصل بين العلم والقيم، ولا بين الاكتشاف والمسؤولية، ومن خلال إشارات الكونية يضع الإنسان أمام حقيقة كبرى، هي أن المعرفة رحلة مفتوحة، وأن حدود اليوم ليست نهاية الغد.

ومن هنا، فإن قراءة القرآن الكريم في ضوء علوم المستقبل - كما ذكرنا في أول المقال - ليست بحثاً عن سبق تقني فقط، بل عن منهج حضاري يعيد للعلم إنسانيته، وللاكتشاف معناه، وللمعرفة بُعدها الأخلاقي العميق.

(*) نقلاً عن مجلة حراء السنة الحادية والعشرون العدد (105) - 2026

(**): أستاذ العمارة ومحاضر سابق بجامعة القاهرة / مصر.

علماء الغرب لم ينظروا في الطبيعة ويكتشفوا بل نظروا إلى كتب العرب وسرقوا منها

المؤرخ تامر الزغاري

(شرح تشريح القانون) لابن النفيس والذي تحدث بالتفصيل عن هذا الاكتشاف.

وأفضل مثال هي سرقات نيوتن، وهنا سأكتفي بإظهار أن قوانين الحركة الثلاثة التي يدعي بأنه مكتشفها هي سرقة من كتب عربية، والقوانين الثلاثة هي:

- قانون نيوتن الأول للحركة:

"أن الجسم يبقى في حالة سكون أو في حالة حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجية على تغيير هذه الحالة".
وقد سرقه من قول ابن سينا في كتابه (الإشارات والتنبيهات):
(إنك لتعلم أن الجسم إذا خلا وطباعه ولم يعرض له من الخارج تأثير غريب لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين فإن من طباعه مبدأ استيجاب ذلك.

إذا قلنا إن عصر النهضة الأوروبية بدأ بأخذ إنجازات العصر الذهبي العربي سيكون كلامنا حقيقة مؤكدة، ويثبتها العدد الضخم من الكتب العربية التي قام الأوروبيون بجلها من بلاد العرب، والعدد الأكبر الذي قاموا بطباعته وتدرسه في مدنهم باللغة العربية التي كانت لغة العلم في أوروبا.

ولكن هنالك مسارات أخرى تم استغلال الكتب العربية فيها، وهو اتجاه سرقة إنجازات واكتشافات العلماء العرب وتسجيلها بأسماء علماء أوروبيين، وفي الحقيقة لم يقم العالم الأوروبي بالبحث في الطبيعة ليصل لاكتشافه العبقري بل بحث في كتاب عربي وأخذ ما فيه ونشره على أساس أنه اكتشافه، وهذا الأمر أصبح معلوماً عند الغرب اليوم.

والأمثلة كثيرة ومنها ما هو منشور بأن الدورة الدموية الصغرى هي من اكتشاف العالم الإنجليزي وليام هارفي، ولكن تبين فيما بعد أن ما نشره وليام هارفي كان سرقة من كتاب

- قانون نيوتن الثالث للحركة:

(لكل فعل رد فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الاتجاه).
وقد سرقة من نخر الدين الرازي الذي قال في كتابه (المباحث المشرقية): (الحلقة التي يجذبها جاذبان متساويان حتى وقفت في الوسط لا شك أن كل واحد منهما فعل فيها فعلاً معوقاً بفعل الآخر).

فنيوتن خير مثال، وهذا كتاب عربي قديم بأوكسفورد في هوامشه ترجمة إنجليزية بخط اليد.

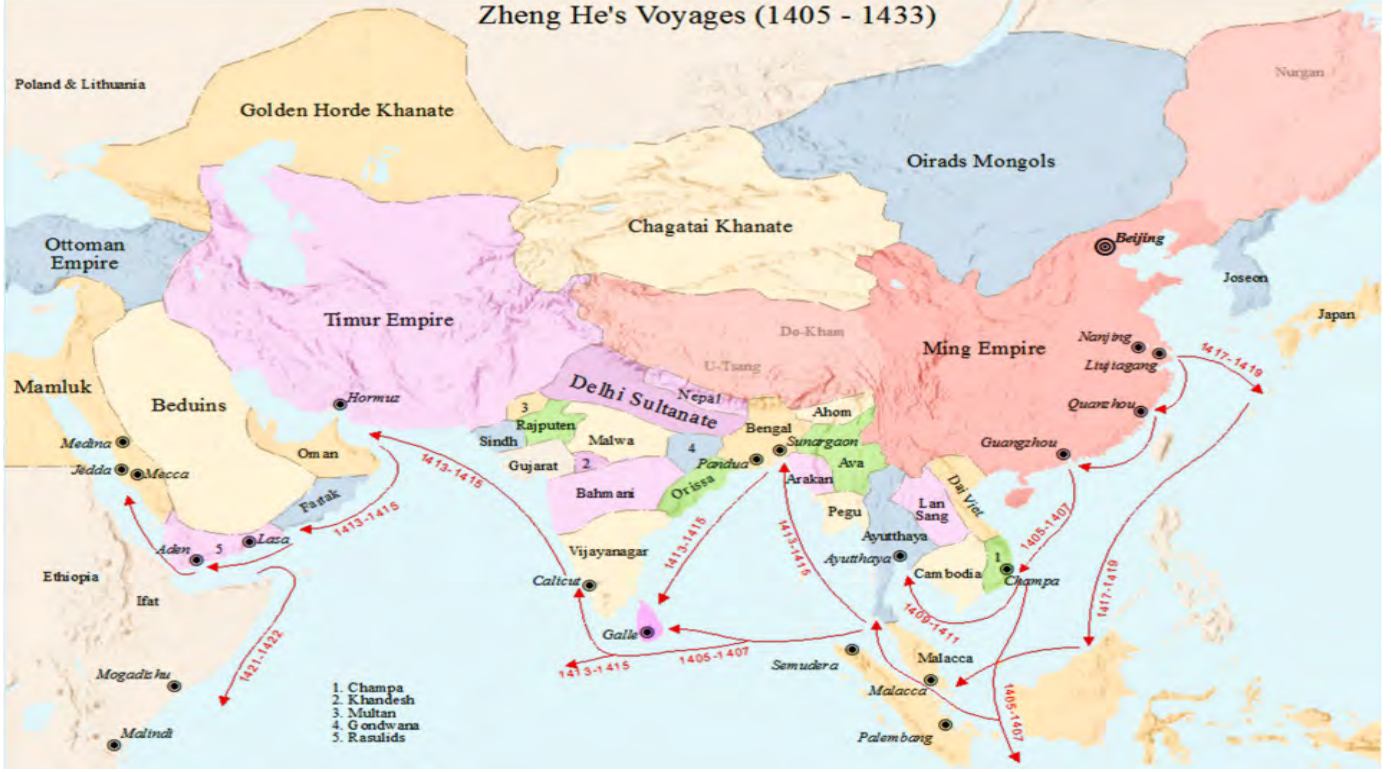


- قانون نيوتن الثاني للحركة:

(إن تسارع جسم ما أثناء حركته، يتناسب مع القوة التي تؤثر عليه). وقد سرقة من نخر الدين الرازي الذي قال في كتابه (المباحث المشرقية): (فإن الجسمين لو اختلفا في قبول الحركة لم يكن ذلك الاختلاف بسبب المتحرك، بل بسبب اختلاف حال القوة المحركة، فإن القوة في الجسم الأكبر، أكثر مما في الأصغر الذي هو جزؤه لأن ما في الأصغر فهو موجود في الأكبر مع زيادة).



Zheng He's Voyages (1405 - 1433)



جديد المسلمين في أميركا قبل كولومبوس

الدكتور محمد فرشوخ

لم يعد موضوع الوجود الإسلامي في أميركا قبل أن يطأ كريستوف كولومبوس أرضها بعدة قرون، موضع استغراب أو إنكار، فقد بات الأمر معروفاً وموثقاً رغم النفي والتشكيك، ومن يسأل الذكاء الاصطناعي مثلاً يحصل على إجابات مبهمة تتراوح بين نفي الإثباتات الأثرية وبين الاستدارة حول الموضوع وعدم التعمق في حقيقته. لكن الذي يعيد الموضوع إلى دائرة الاهتمام هو كل جديد يتكشف أو يُعلن عنه، خاصة وأن القيود المفروضة على إعلان هذه الحقيقة لم تعد شديدة كالسابق لأن الأمر لم يعد خافياً وصار من الصعب إنكاره.

نورد بإيجاز عدداً من المعلومات الموثقة التي باتت مؤكدة ولا سبيل لإنكارها، ونضيف إليها معلومات، أميط عنها اللثام مؤخراً، نوردها في النصف الثاني من هذا المقال.

الأرض وراء ذلك البحر ورجع، وقال الخشخاش لما عاد من رحلته بأنه (وجد أناساً في الأرض التي وصلها).
- ثم توالى الرحلات من الأندلس عبر المحيط، ففي القرن السادس الهجري، يذكر الشريف الإدريسي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي بين ١٠٩٩ - ١١٨٠م، يذكر في كتابه "الممالك والمسالك" قصة الشباب المغامرين وهم: جماعة خرجوا ببواخر من إشبونة "Lisbon" (عاصمة البرتغال الآن) وكانت في يد المسلمين وقتها، وقطع هؤلاء المغامرون بحر الظلمات، ورجع بعضهم، وذكروا قصتهم وأنهم وصلوا إلى أرض وصفوها ووصفوا ملوكها. والملفت في الأمر أنهم ذكروا أنهم وجدوا هناك أناسا يتكلمون باللغة العربية.

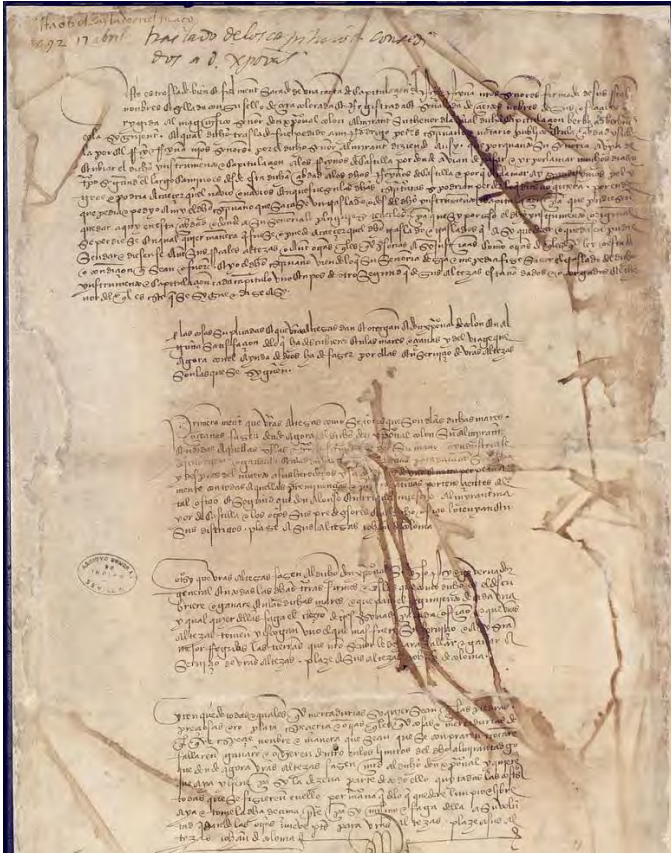
ذكر كريستوفر كولومبوس في مذكراته أن الهنود الحمر كانوا يلبسون لباساً قطنياً شبيهاً باللباس الذي تلبسه النساء الغرناطيات المسلمات" وذكر أنه وجد في كوبا مسجداً، والجدير بالذكر أن أول وثيقة هدنة بين كريستوفر والهنود الحمر كانت موقعة من طرف رجل مسلم (الوثيقة موجودة في متحف تاريخ أمريكا). ولم يخف كولومبوس أنه استعان بجارة خبراء من مسلمي الأندلس.



غطاء الرأس بالمنديل والعقّة واللقة

وتذكر المؤرخة الإسبانية أدبية روميرو من الوثائق المحفوظة في أرشيف مدينة إشبيلية، أن البحارة المسلمين الذين كانوا أدلاء كولومبوس في رحلته إلى العالم الجديد سمعوا الأذان باللغة العربية في بعض المناطق التي وصلوا إليها، ذكر ذلك في كتاب يجري إعداده حالياً في إشبيلية بعنوان "إسبانيا مهد اميركا".

ويقول المؤرخ السعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجواهر" المكتوب عام ٩٥٦م أي قبل كولومبوس بأربعة قرون، أن أحد المغامرين من قرطبة واسمه الخشخاش بن سعيد بن الأسود، (دعي في بعض الوثائق بلقب "أمير البحار")، عبر بحر الظلمات سنة ٨٨٩م، مع جماعة من أصحابه إلى أن وصل إلى



وقد وردت سيرة هؤلاء المغامرين وهم أبناء عمومة في كتابات المؤرخ الجغرافي كراتشكوفسكي وتم توثيقها عام ١٩٥٢م في جامعة وايت ووتر البرازيلية.

قبل قرون من رحلة كولومبوس، كتب الجغرافيون العرب والمسلمون: المسعودي (٨٩٦-٩٥٧م)، والبيروني (٩٧٣-١٠٤٨م)، والإدريسي (١١٠٠-١١٦٦م)، كتب كلٌ منهم عن وجود أراضٍ وراء بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، ووصفوا كروية الأرض وقاسوا محيطها بدقة مهدت لطرق الملاحة.



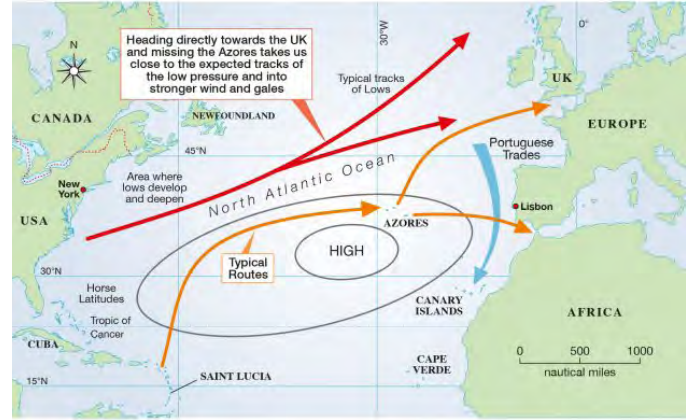
كذلك سجل التاريخ أكثر من رحلة قام بها ملوك أفارقة إلى العالم الجديد، فيذكر ابن فضل الله العمري (١٣٠١-١٣٤٩م)، مؤلف كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، أنه قابل الملك المالي مانسا أبو بكر الثاني الذي أخبره أنه سافر إلى أمريكا عام ١٣١٢م، أي قبل ١٨٠ عاماً من كولومبوس. وقد بنى أبو بكر أسطولاً قبالة سواحل السنغال وغامبيا بمساعدة بناء السفن والأطباء والبحارة والملاحين، وبلغ عدد السفن ٢٠٠ سفينة كبيرة إضافة إلى سفن وقوارب أخرى بلغ عددها ألف مركب. ربطت كل سفينة بسفينة إمداد، فوصل عدد السفن إلى ٢٠٠٠ سفينة. ولضمان استمرار طاقته لمدة عامين، ملئت السفن الرديفة الألف بالطعام والماء والأدوية والفواكه. ومن المؤكد أن أبا بكر قد وصل إلى الطرف الآخر من المحيط الأطلسي عام ١٣١٢م. ويؤكد وصول الماليين إليه تلك الأسماء المالية التي أطلقوها على الأماكن الجديدة، فنجد آثاراً للرحلة المالية في أسماء بعض الأماكن في هايتي، مثل ماندينغا بويت وخليج ماندينغا وسلسلة جبال سييرا دي مالي.





لوحة تصور ماتسا موسى وهو يمسك كتلة من الذهب في أطلس كتالونية المرسوم عام 1375م

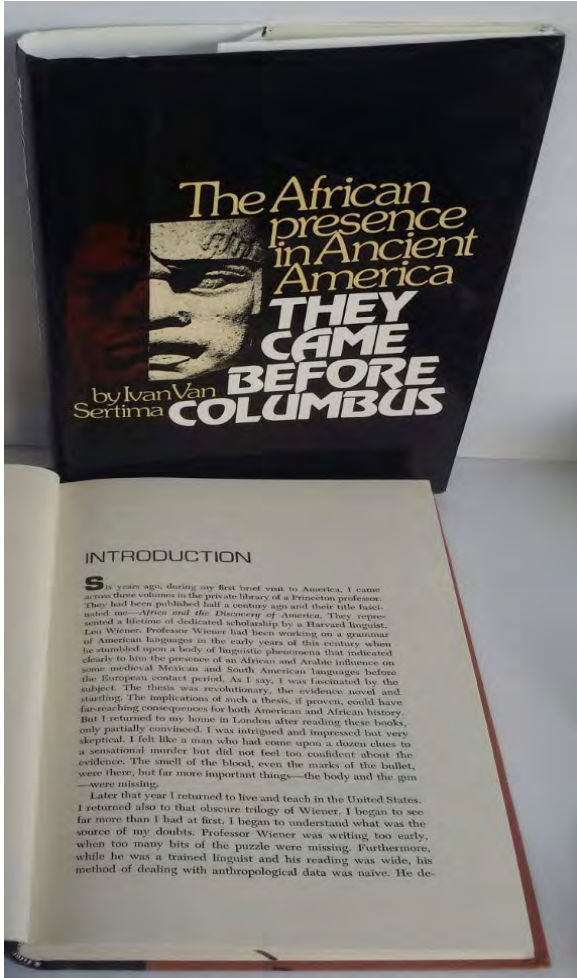
كيف كان هذا ممكناً في زمن منسا أبي بكر؟ من الناحية العلمية، يُسيطر على المحيط الأطلسي تياران بحريان، يظلان ثابتين في الغالب، بغض النظر عن الشهر أو الفصل. هما تيار الكاري وتيار غينيا، وهما تياران قويان بما يكفي لجر سفينة من غرب أفريقيا إلى الأمريكتين. وهناك دلائل على وجود عرق زنجي في الأمريكتين عند مصب هذين التيارين. وإليه تعزى أكبر عملية هجرة إفريقية إلى أميركا حتى ذلك الوقت.



وفي كتاب نشره قائد القوات البحرية البريطانية السابق وعالم المحيطات كيفين مانزيس، أوضح أن الأميرال المسلم في الصين سينغ هي، هو من اكتشف القارة الأميركية قبل الرحالة الإيطالي كريستوفر كولومبوس. وشرح مانزيس، في كتابه الذي حمل عنوان "١٤١٣، سنة اكتشاف الصين لأميركا"، بالتفصيل من قام باكتشاف القارة قبل كولومبوس، واستند في طرحه على نقاط رئيسية من أهمها أن الخريطة التي رسمها البحارة الذين كانوا ضمن أسطول الأميرال المسلم في الصين سينغ هي، تعود إلى عام ١٤٢٣.

ورسم الأوروبيون خريطة لفلوريدا في أمريكا تعود للعام ١٥٤٦م، تظهر فيها مدن تماثل أسماءها أسماء مدن أندلسية ومغربية، مثل (مراكش) و(ميورقة) و(قادس)، ولكي تكون أسماء عربية هناك، فبالضروي كانت هجرة عربية قبل مائة أو مائتي عام من ذلك التاريخ على الأقل.

عام ١٩٢٠م، كتب البروفيسور ليون فيرنيل الذي كان أستاذاً في جامعة هارفرد، كتاباً أسماه "فريقيا واكتشاف أمريكا"، "Africa and the discovery of America" يقول فيه: "إن كريستوفر كولومبس كان واعياً الوعي الكامل بالوجود الإسلامي في أمريكا". وعن دور المسلمين في اكتشاف القارة؛ أصدر الاثنوغرافي الفرنسي "يوليوس كوفيت Jules Cauvet" كتابه "البربر في أمريكا"، سنة ١٩٣٠. والذي كان عبارة عن دراسة إثنوغرافية لعدد من القبائل على ضفتي المحيط. أشار يوليوس كوفيت في بحثه إلى وجود قبيلة مسلمة في الهندوراس وأمريكا الوسطى، عرفت باسم "المامي" Almamy، أرجع أصولها إلى لغة المانديغو واللغة العربية، مؤكداً أنها تنحدر من لفظة الإمام.



وكشف الدكتور كيرج كونسيدين أستاذ علم الاجتماع بجامعة رايس عن اكتشاف المسلمين للقارة الأمريكية قبل كريستوفر كولومبوس بقرون، في كتابه الجديد: (Muslims in America: Examining the Facts) "المسلمون في أمريكا: تفحص الوقائع".
نشر عام ٢٠١٨.

ومن بين الأعمال التي أثارت ضجة كبرى، ظهر كتابان في هذا الموضوع: "لم تكن نحن"، و"أفريقيا مقابل أمريكا"، للمؤرخة لويزا إيزابيل ألفاريز دي توليدو، وهي كانت دوقة لمدينة سيدونيا، سبق أن تعرضت للتعذيب على يد الجنرال فرانكو. امتلكت لويزا إيزابيل ألفاريز دي توليدو آلاف المخطوطات التاريخية التي يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل حروب الاسترداد. بحسب ما أوردته هذه المؤرخة، فقد ارتبط الأندلسيون والمغاربة بعلاقات تجارية مع بلدان أمريكا الجنوبية بالخصوص، استمرت قروناً قبل قدوم كولومبوس لاحتلال القارة.



أما آخر دراسة، فهي عبارة عن كتيب صدر بالألمانية، وتمت ترجمته للعربية للباحث التركي فؤاد سركين بعنوان "اكتشاف المسلمين للقارة الأمريكية قبل كريستوفر كولومبوس"، والذي يسرد فيه عدداً من الأدلة تؤكد وصول المسلمين لأمريكا قبل كولومبوس.

لم يعد أمر "المسلمين قبل كولومبوس" خافياً في الإعلام ولا في الأوساط السياسية أو الأكاديمية، لكنه لا يزال يحظر نشره أو تعليمه في المدارس والجامعات. نذكر من الأكاديميين أيضاً عالم الأنثروبولوجيا إيفان فان سرتيما في كتابه بعنوان "لقد جاؤوا قبل كولومبوس".

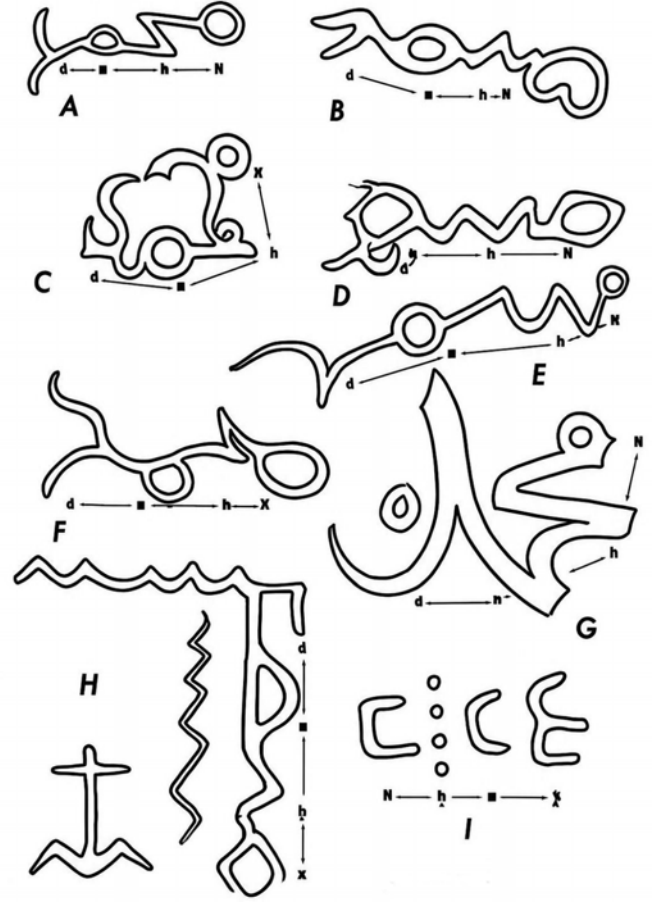
والجديد هو أن بعض القبائل الهندية الأمريكية حافظت على العقيدة الإسلامية إلى ما بعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وهذه معلومة نشرت عام ٢٠٠٤م، في "دبي" (الإمارات)، من كتابات سفير الولايات المتحدة السابق في الإمارات عام ١٩٨١، ويدعى روبرت ديكسون كرين (١٩٢٩-٢٠٢١م)، أكد فيه اعتناق الهنود الشيروكي دين الإسلام، وأن جماعة منهم سجنوا عندما شوهدوا وهم يصلّون على الطريقة الإسلامية. فقد كانوا يصومون في شهر رمضان، توطنوا في شمال الولايات المتحدة وقد أقاموا مجسماً للكعبة، في ولاية إنديانا، إما لكي يحجوا إليه بسبب استحالة الذهاب إلى مكة المكرمة، وإما للطواف حوله رمزياً، تحقيقاً للركن الخامس في الإسلام.

حافظ الهنود الشيروكي على دينهم الجديد على مر السنين، وفي عام ١٨٣٠ كانت حكومة الولايات المتحدة قررت إحضار الهنود إلى الغرب من شرق الولايات المتحدة في منتصف الشتاء لذلك فهم الهنود أنهم سيعدمون ربما بسبب انتمائهم للمجتمع المسلم. لذلك فر قسم منهم إلى الشمال، وتوفي القسم الثاني أثناء ارتحالمهم بسبب الطقس الشديد البرودة وأما القسم الثالث فقد انصاع وسار إلى حتفه.



ما الذي أّخر التوصل إلى هذه البيانات الهامة للغاية من تراث تاريخ البشرية طوال تلك القرون؟ يقول المعلقون إن السبب الأول البديهي هو ذلك الصراع الذي بدأ بعد ظهور الإسلام وتطور خلال الحروب الصليبية، وانتقال هذا العداء مع المهاجرين الأوروبيين البيض إلى القارة الجديدة، وكثر هم الذين لا يريدون أن يعرف الناس أن العرب المسلمين سبقوا الأوروبيين إلى الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. والسبب الثاني هو الضغط السياسي والأكاديمي على الباحثين الأمريكيين، لأنهم حاولوا الكشف عن هذه المعلومات للجمهور وتعرضوا للتهديد من قبل الدوائر المختصة بأن يتم فصل الأكاديميين ووقف الدعم المالي لبحوثهم إذا كشفوا عن سبق المسلمين إلى أميركا وعن المجازر التي ارتكبتها المهاجرون الأوروبيون بحق الذين اعتنقوا الإسلام. وعلى الرغم من الضغوط والتهديدات فإن أولئك الذين كسروا هذا الحصار التاريخي هم علماء عظماء تمتعوا بالنزاهة والأمانة العلمية، ينتمي معظمهم إلى جامعة هارفارد أو إلى مؤسسة سميثونيان، منهم أمريكيون، وإنجليز، وألمانيون، وإسبان، وصينيون، وجنوب إفريقيون، وهنود، وهم يخدرون من أصول مختلفة، أما فيما يتعلق بالأمريكيين، فكان منهم سايروس جوردون وهو عالم لغويات ومتخصص في علم الآثار. وكذلك باري فيلد من جامعة هارفارد الذي كان وراء اكتشاف نص "محمد نبي الله"، مكتوباً بأحرف كوفية في ولاية نيفادا، وعدد آخر مثل ألكسندر فان فيتناو الألماني الجنسية والذي كرس الفصل الأول من بحثه للكتابة عن هذه الديكتاتورية التي سادت في الأوساط الأكاديمية الأمريكية، من بين أوساط أخرى مماثلة.

ما يجدر ذكره هو أن مجمل الرحلات الأولى من الأندلس ومن إفريقيا إلى أميركا، اتسمت بطابع السلام والتفاهم والتبادل التجاري والحضاري دون اللجوء إلى العنف، على عكس المرحلة التالية اعتباراً من رحلة كولومبوس التي اتخذت طابعاً استعمارياً وصل مع الأوروبيين المهاجرين إلى حد الإبادة الجماعية لعدد كبير من الأقوام والقبائل. وهذا من أهم أسباب حظر نشر أخبار تلك الفترة من تاريخ أميركا والولايات المتحدة.



(*) : العميد الدكتور محمد فرشوخ، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة AUL ورئيس منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المصادر:

- https://www.tiktok.com/@aymanswaiti/video/7662775540398525717?_r=1&t=ZS-98zMAUB11ZI

- https://youtu.be/yyABCB8_Z6g

- <https://www.savannahtribune.com/articles/african-king-mansa-abubakari-ii-discovered-america-in-1312-180-years-before-columbus/>

دراكولا الحقيقي

الرجل الذي وضع
المسلمون له حداً

المهندسة ياسمين أبو عدلا (*)



حين يسمع معظمنا اسم "دراكولا"، تبادر إلى الأذهان فوراً صورة مألوفة: عباءة سوداء تمتد كجناحي خفاش، أنياب بيضاء لامعة، وعيون حمرة تتوهج في الظلام. شخصية خارقة للطبيعة لا تموت، تسكن القلاع الموحشة في شرق أوروبا، وتعيش على دماء البشر. هكذا رسمته هوليوود على مدى عقود متتالية، وهكذا ترسخت هذه الصورة الأسطورية في الوجدان الشعبي الغربي حتى غدت جزءاً لا يتجزأ من ثقافته البصرية والأدبية.

لكن ماذا لو قلنا لك إن وراء هذه الأسطورة المضخمة رجلاً حقيقياً من لحم ودم عاش في القرن الخامس عشر الميلادي؟ رجلاً كان متوحشاً إلى درجة لا يحتاج معها إلى أية إضافات خيالية. وأن نهايته، بكل دلالاتها التاريخية والرمزية، جاءت على يد المسلمين؟ هذا بالضبط ما كشفه كتاب "التاريخ الخفي: 30 قصة غير مروية عن الإسلام في الغرب"، للكاتب الهولندي يورام فان كلايفين — رحلة استثنائية في أعماق التاريخ المنسي.



من هو يورام فان كلايفرن؟ قصة تستحق الرواية



لا يمكن قراءة هذا الكتاب دون فهم شخصية مؤلفه أولاً، إذ تمثل قصته في حد ذاتها واحدة من أكثر المفارقات الإنسانية إثارة في عصرنا الحديث.

يورام فان كلايفرن لم يكن مجرد ناقد للإسلام — كان من أشد معاديه علناً وأكثرهم تأثيراً في هولندا. فبصفته نائباً في البرلمان الهولندي عن حزب الحرية اليميني المتطرف، الذي أسسه السياسي المثير للجدل خيرت فيلدرز، تقدّم فان كلايفرن باقتراحات رسمية لإغلاق المساجد، وحظر القرآن الكريم، وإزالة كل مظهر إسلامي من المجتمع الهولندي. كان صوتاً لا يُستهان به في معسكر الذين يرون الإسلام تهديداً وجودياً للهوية الأوروبية.



ثم حدث ما لم يتوقعه أحد، حتى هو نفسه:

في منعطف حياتي عميق، بدأ فان كلايفرن رحلة بحث صادق

عن الحقيقة. قرأ، وتحصّص، وتساءل، وتأمّل، وفي نهاية رحلة طويلة ومضنية، أعلن اعتناقه الإسلام. وتّى هذه الرحلة المذهلة في كتابه الأول المعنون بـ"المرتد"، الذي يعدّ من أكثر الشهادات الشخصية أهمية في الأدب الديني المعاصر، إذ يأخذنا معه خطوة بخطوة في مسيرة التحول من العداء الكامل إلى الإيمان العميق.

منذ ذلك الحين، تحوّل فان كلايفرن إلى صوت مختلف تماماً:

باحث يسعى إلى إنصاف التاريخ، ومفكر يعمل على تصحيح المفاهيم

المغلوبة، وجسر حوار بين ثقافات يريد لها البعض أن تبقى في حالة

تصادم دائم. كتابه الجديد "التاريخ الخفي" هو ثمرة هذا التحول: ٣٠

قصة مستقاة من صفحات التاريخ الحقيقي، تكشف عن تشابك عميق

وقديم بين الإسلام والحضارة الغربية.

فلاد الثالث: ما قبل الأسطورة

الميلاد والطفولة في ظل القوى المتصارعة

في عام ١٤٣٠ للميلاد، وفي إمارة ولاشيا — دولة سابقة تقع في جنوب رومانيا الحالية — وُلد غلام اسمه فلاد الثالث، ابن الملك فلاد الثاني. لم تكن ولاشيا في تلك الحقبة دولة مستقرة آمنة، بل كانت واقعة في قلب منطقة تتقاطع فيها مصالح القوى الكبرى: المملكة الهنغارية في الغرب، والدولة العثمانية الممتدة من الجنوب والشرق، فضلاً عن مشيخات وإمارات إقليمية صغيرة.

في هذا المناخ المضطرب، كان الحُكّام الصغار مضطرين إلى إبرام تحالفات براغماتية والوفاء بالتزامات مُكَلِّفة للبقاء في السلطة. وهكذا، حين بلغ فلاد الثانية عشرة من عمره، وجد نفسه مع أخيه الأصغر رادو ضيفين — أو بالأحرى رهيبتين — في بلاط السلطان العثماني.

كان ذلك جزءاً من اتفاقية أبرمها والدهما مع الدولة العثمانية: في مقابل الدعم العسكري والاعتراف بحكمه، يُقيم ولدا الملك في البلاط العثماني كضمان لالتزامه بدفع الجزية في وقتها والحفاظ على ولائه السياسي كانت ممارسة دبلوماسية شائعة في تلك الحقبة، لكنها بلا شك كانت تجربة قاسية لطفلين انتزعا من بيئتهما المألوفة وألقيا في محيط غريب.



مساران متعاكسان: رادو وفلاد

نشأ الأخوان معاً في البيئة ذاتها، لكن كل واحد منهما استخلص منها درساً مختلفاً جذرياً، رادو، الأخ الأصغر، تأقلم مع محيطه الجديد بانفتاح لافت. لم يرَ في الإقامة العثمانية سجنًا بل فرصة. أتقن اللغة، وفهم الثقافة، وبنى علاقات إنسانية حقيقية. وكانت أبرز هذه العلاقات صداقته مع محمد، ابن السلطان، الذي سيصبح لاحقاً السلطان محمد الثاني أو "الفاتح"، فاتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وفي نهاية المطاف، اعتنق رادو الإسلام، وعن قناعة، ليصبح واحداً من القادة العسكريين المقربين من محمد الثاني.

أما فلاد، فقد حمل من تلك التجربة شيئاً مختلفاً تماماً: مرارة وغضباً وإحساساً عميقاً بالإهانة. عاد إلى ولاشيا، حاملاً معه حقداً راسخاً، وإصراراً على أن يُثبت لنفسه وللآخرين أنه لن يخضع لأحد.



دراكولا: التنين الذي أكل أرضه

الصعود إلى السلطة والانتماء لوسام التنين

بعد وفاة والده، تمكّن فلاد من الوصول إلى عرش ولاشيا في خضم صراعات وانقلابات متعاقبة. ومنذ اللحظة الأولى، كان واضحاً أنه سيختار الوقوف في وجه العثمانيين، لا إلى جانبهم. انضم فلاد إلى تنظيم يُعرف بـ "وسام التنين"، وهو تنظيم عسكري ديني مسيحي أسسه الإمبراطور الروماني المقدس سيغيسموند سنة ١٤٠٨، بهدف إعلان صريح: الدفاع عن المسيحية ومحاربة التمدد الإسلامي العثماني. وقد أكسبه هذا الانتماء لقبه الأشهر: "دراكولا" — أي التنين أو ابن التنين.

كان الاسم حاملاً لرمزية دينية وعسكرية واضحة: هو التنين الحارس، المدافع عن الإيمان المسيحي في مواجهة ما وصفه هو وأمثاله بالغزو الإسلامي.

أساليب الرعب: حين تصبح القسوة سياسة

تاريخ فلاد دراكولا مليء بأعمال وحشية موثقة يصعب على العقل السليم استيعابها. ولا يحتاج المرء إلى أي خيال لاستحضار الرعب — فالوقائع التاريخية وحدها كافية، كان أسلوبه المفضل في الإعدام هو الخازوق غرس الضحايا أحياء على أوتاد خشبية حادة طويلة، بطريقة تجعل الموت بطيئاً مؤلماً. لم يكن ذلك مجرد إعدام، كان رسالة. كان يصفّ الضحايا على الأوتاد في أنماط هندسية منتظمة خارج أسوار مدينته، حتى تكون أول ما يراه أي قادم من بعيد. "غابة الخوازيق" كانت بطاقة تعريفه للأعداء والمتمردين والزوار على حد سواء.

وكانت سياسته النفسية تمتد إلى أبعد من ذلك. تروي المصادر التاريخية أنه تناول طعامه وسط ساحة مليئة بجثث جنوده الذين قتلهم للتو، كاشفاً بذلك استمتاعه الصريح بالمشهد. وكان يغمس خبزه في دماء ضحاياه إشارة رمزية قاطعة إلى أنه لا يشعر بأدنى رهبة أو ضمير. بل كان يتباهى بجرائمه في مراسلاته الرسمية. في رسالة تعود إلى عام ١٤٦٢، كتب وهو في خضم حربه مع العثمانيين يُحصى بفخر صريح أعداد من أبادهم.



وما يلفت الانتباه في كل هذا أنه لا شيء خارق للطبيعة هنا. فلاد دراكولا لم يكن مصاصاً للدماء، ولم تكن له قدرات شيطانية. كان إنساناً عادياً في طبيعته البيولوجية، لكنه اختار أن يجعل الوحشية أداة للحكم، والرعب سياسة للبقاء في السلطة..

الحادثة المفصلية: نعال المسامير في الجماجم

في عام ١٤٥٩م، وبعد أن تربّع محمد الثاني على عرش السلطنة وباتت الدولة العثمانية في أوج قوتها، إثر فتح القسطنطينية قبل ست سنوات، أرسل السلطان وفداً دبلوماسياً إلى فلاد دراكولا لمطالبته بدفع الجزية السنوية المتأخرة.

كان السلطان محمد يعرف فلاد شخصياً — فكلاهما نشأ في جزء من طفولته في البلاط العثماني. لعلّ السلطان أرسل هذا الوفد معتقداً أن ثمة إمكانية للتفاوض أو التسوية. لم يكن يعلم بما ينتظر مبعوثيه. حين وصل الدبلوماسيون العثمانيون، استقبلهم فلاد وأخبرهم بوضوح أنه لن يدفع الجزية. ثم طالبهم بشيء استفزازي: خلع عمامتهم احتراماً له — في إشارة رمزية واضحة إلى انتصار دينه على دينهم، وسيادته عليهم.

رفض الدبلوماسيون، لعلهم أدركوا ما يعني هذا، ولعلهم لم يدركوا. لكن الرفض جاء، وكان قاطعاً فأصدر دراكولا أمره لجنوده: ثبتوا العمام بالمسامير في جماجمهم — حتى لا يضطروا إلى خلعها أبداً. مات الدبلوماسيون في عذاب. وبلغ الخبر السلطان في عاصمته. كانت هذه الجريمة أكثر من مجرد فعل وحشي — كانت إعلان حرب، ورفض مطلق لأي تسوية دبلوماسية، وستكون لها تبعاتها.



الأخوان في ساحة المعركة: فلاد ورادو وجهاً



ما يمنح هذه القصة عمقها الإنساني الحقيقي هو البعد الأسري فيها. فالقوة التي سيواجه فلاد دراكولا مصيره في مواجهتها لم تكن قوة أجنبية مجهولة — كان في قلبها أخوه، رادو، رادو الذي نشأ معه في بلاط السلطان، رادو الذي اختار طريقاً مختلفاً، رادو الذي أصبح مسلماً وقائداً عسكرياً موثقاً لدى السلطان محمد الثاني، ها هو الآن يقود — أو يشارك في قيادة — الجيش الذي سيلاحق أخاه.

بعد سنوات من الحروب والكرّ والفرّ والاختباء، وصلت قوات السلطان محمد الثاني أخيراً إلى فلاد دراكولا في عام ١٤٧٦. كان فلاد قد فرّ وعاد وحارب وخسر وانتصر مرات عديدة على مدى عقود. لكن في نهاية المطاف، نفذت الخيارات.

قبض عليه، وعوقب على جرائمه التي لا تحصى. وكان الحكم الأخير: قطع الرأس. نهاية باردة وسريعة، رحيمة بكل المقاييس قياساً بما فعله هو بأعدائه وضحاياه.

وبذلك، انتهى عهد الرجل الذي أُرعب منطقة بأسرها لعقود. لم يمتْ بطريقة مسرحية خارقة كما تصوّر هوليوود مات بيد مقاتلين بشريين عاديين كانوا يؤدّون واجبهم.

التاريخ في مواجهة الأسطورة: ما قالته هوليوود وما أخفته

السؤال الذي يطرحه فان كلافيرن
يطرح يورام فان كلافيرن في كتابه
سؤالاً بسيطاً في صياغته، عميقاً في
دلالتة: متى شاهدنا فيلماً هوليوودياً
يقول صراحةً إن المسلمين هم من
أنهوا طغيان أحد أشد حكام أوروبا
وحشية في التاريخ؟

الجواب واضح: أبداً.

على مدى أكثر من قرن من الزمان، قدّمت السينما الغربية
دراكولا كائناً خارقاً للطبيعة: مخلوق خالد يتغذى على الدماء،
يُرعبه الصليب والثوم وضوء الشمس، ويحكم من قلعة موحشة في
قلب ترانسيلفانيا المظلمة.. هذه الصورة مستوحاة من رواية برام
ستوكر الشهيرة التي صدرت عام ١٨٩٧، والتي استعار فيها الكاتب
بعض ملامح فلاد الثالث - لا كلّها، - ونسج حولها خيالاً
أديباً محكماً. الرواية عمل إبداعي رائع في حد ذاته لكن المشكلة
حين تتحوّل الأسطورة إلى "تاريخ" في الأذهان الشعبية.
حين يُقدّم فلاد دراكولا على أنه كان شيطاني خارق، يضع
في الضبابية الأسطورية ما هو أكثر إزعاجاً وأعمق دلالة: أن هذا
الرجل كان إنساناً حقيقياً، وأن وحشيته كانت اختياراً إنسانياً
واعياً، وأن له سياقاً سياسياً ودينياً محدداً.
وضمن هذا السياق، يغيب تماماً الدور الجوهري الذي أدّاه
المسلمون في وضع حد لطغيانه.



وليس هذا مجرد إغفال عَرَضي إنه انعكاس لنمط أشمل في كيفية
تشكيل السرديات الثقافية الغربية لصورة الإسلام والمسلمين في
التاريخ: دائماً على الهامش، دائماً في الخلفية، دائماً غائبون حين يتعلق
الأمر بأدوار البطولة أو الإنقاذ أو الدفاع عن القيم الإنسانية.

ما الذي يقوله هذا لنا اليوم؟



في زمن تتصاعد فيه موجات الإسلاموفوبيا في الغرب، وتنتشر خطابات التنافر الحضاري بين "العالم الإسلامي" و"الغرب" كأنهما كتلتان منفصلتان لا نقطة تقاطع بينهما، يأتي كتاب فان كلايرن ليذكرنا بشيء بديهي طالما أغفلناه: أن هذين العالمين لم يكونا يوماً منفصلين.

التاريخ المشترك بين الإسلام والغرب أعمق وأقدم وأكثر تشابكاً مما تريد له بعض الروايات الراهنة أن يكون. المسلمون لم يكونوا دائماً "الآخر" أو "الغريب" — كانوا أحياناً الجيران، وأحياناً الحلفاء، وأحياناً أولئك الذين وضعوا حداً لأشد أعمال الوحشية في التاريخ الأوروبي.

قصة دراكولا ليست مجرد قصة تاريخية مثيرة — إنها نافذة على هذا التشابك الذي طالما غُيب أو شُوّه. وهي دعوة لقراءة التاريخ بعيون مختلفة: لا بعيون الأسطورة، ولا بعيون الأيديولوجيا، بل بعيون الباحث الذي يريد أن يعرف ما حدث فعلاً.

التاريخ أعقد مما نروي

من الأمانة الفكرية الإشارة إلى أن الصورة التاريخية الكاملة لا تنقسم انقساماً حاداً إلى "مسلمون أبطال" و"مسيحيون أشرار". التاريخ دائماً أكثر تعقيداً وتشابكاً من أي قراءة ثنائية مبسطة. فلاد دراكولا لم يواجه العثمانيين وحدهم — كان له أعداء مسيحيون أيضاً، وعانى من تدخلات سياسية من حكام مجاورين كإتياس كورفينوس ملك هنغاريا الذي سجنه لفترة. والتحالفات في تلك الحقبة كانت تتغير بحسب المصالح لا بحسب الانتماء الديني فقط. كذلك فإن الدولة العثمانية نفسها لم تكن قوة نقية خالية من التعقيدات — فهي دولة ذات مصالح إمبراطورية توسعية كغيرها من الدول الكبرى عبر التاريخ.

لكن هذا التعقيد لا ينفي حقيقة جوهرية: أن القوة التي تمكنت في نهاية المطاف من إسقاط فلاد دراكولا وإنهاء طغيانه كانت قوة مسلمة. وأن هذه الحقيقة لم تجد طريقها إلى السرديات الثقافية السائدة.



خلاصة

فلاد دراكولا الحقيقي لم يكن كائناً من عالم الظلام والخيال. كان حاكماً بشرياً استخدم الوحشية أداةً سياسية، وأشاع الرعب منهجاً للحكم، حتى جاء من أنهى طغيانه: المسلمون.

وفي مفارقة لافتة، كان في صفوف الجيش الذي أسقطه، أخوه الذي اعتنق الإسلام — رادو الذي سلك طريقاً مختلفاً تماماً من نفس نقطة البداية.

التاريخ حين يُختزل في أسطورة، يضيع معه الكثير من الحقيقة. وحين تُعاد القراءة بصدق وأمانة، تنكشف صفحات طالما بقيت في الظل — لا لأنها غير موجودة، بل لأن بعض الروايات لا تريد لها أن تُرى.

كتاب "التاريخ الخفي" هو خطوة في مسار إعادة تلك الصفحات إلى مكانها الصحيح.

(*) من أصدقاء منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان.



الإرضاع الترفيهي (Tittytainment)

من أخطر المصطلحات التي لفت
الأنظار في كتاب "نفخ العولة" لمؤلفيه
(هانس بيتر مارتن) و(هارولد شومان)
مصطلح (Tittytainment)، أي
الإرضاع الترفيهي

الإرضاع الترفيهي، هو تعبير مجازي يقصد به إلهاء الشعوب بمختلف وسائل الترفيه كي لا يعوا ما يدور حولهم وما يحضر لهم، وقد ظهر هذا المصطلح في نقاشات بعض قادة السياسة والاقتصاد العالمي، حيث صاغه مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق، زبجنيو برجنيسكي Brzezinski Zbigniew ، للمناقشة حول مستقبل العالم في ظل التكنولوجيا والعولمة، وكانت الفكرة صادمة ومبنية على خطة محكمة، وكانت الفكرة إذا كانت التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي والأتمتة ستقلل الحاجة إلى أعداد كبيرة من العاملين، بحيث لن يحتاج الاقتصاد العالمي سوى لـ ٢٠٪ فقط من البشر لإنتاج كل شيء، فكيف يمكن التعامل مع الـ ٨٠٪ من سكان العالم الذين سيصبحون خارج دائرة التأثير والإنتاج والفائزين عن الحاجة الاقتصادية؟ كان الجواب المطروح هو (إلهائهم عبر الارضاع الترفيهي) لا تجعلهم يفكرون كثيراً، ولا تجعلهم يغضبون كثيراً، ولا تجعلهم يسألون كثيراً، أشغلهم فقط! أعطهم جرعات مستمرة من الترفيه والمتعة والاستهلاك والانشغال، محتوى لا ينتهي، أخبار لا تنتهي، مباريات لا تنتهي، مشاهير لا ينتهون، مقاطع قصيرة لا تنتهي، فيبقى الإنسان منشغلاً، لكن ليس بالضرورة متقدماً، ومع مرور الوقت يصبح الترفيه وسيلة تخدير أكثر منه وسيلة راحة، والمشكلة ليست في الترفيه نفسه، فالإنسان يحتاج إلى الراحة والترويح عن النفس، لكن المشكلة عندما يتحول الترفيه من وسيلة لاستعادة الطاقة، إلى غاية تستهلك العمر، وقد حذرنا الله تعالى من هذا الانشغال التافه والملهي الذي يحرفنا عن غاية الوجود، فقال سبحانه:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ
مَنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ...﴾
[الأنبياء]

وقال النبي ﷺ محذراً من ضياع أئمن ما يملكه الإنسان:

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»
(أخرجه البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما)



عندما تحفظ نتائج المباريات أكثر مما تحفظ خطتك المهنية، عندما يصبح الهاتف أكثر قدرة على جذب انتباهك من كتاب أو مهارة أو مشروع يغير مستقبلك، وهنا يبدأ الفخ.. لأن أخطر أنواع السيطرة ليست أن يُمنع الإنسان من التفكير، بل أن يُشغل عن التفكير. أيها الانسان: إن أخطر أنواع "الإرضاع الترفيهي" اليوم ليست أنه يسرق وقتك فقط، بل أنه يسرق وعيك ويجعلك تنشغل بغيرك، بمن ليس أنت، وتنسى من أنت، حتى تبتعد شيئاً فشيئاً عن الغاية التي خلقت من أجلها، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦]

ويصف الإمام ابن القيم -رحمه الله- هذا التشتت بدقة عجيبة كأنه يعيش بيننا اليوم فيقول:

" إِضَاعَةُ الْوَقْتِ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ، لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُكَ عَنِ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ، وَالْمَوْتُ يَقْطَعُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا "

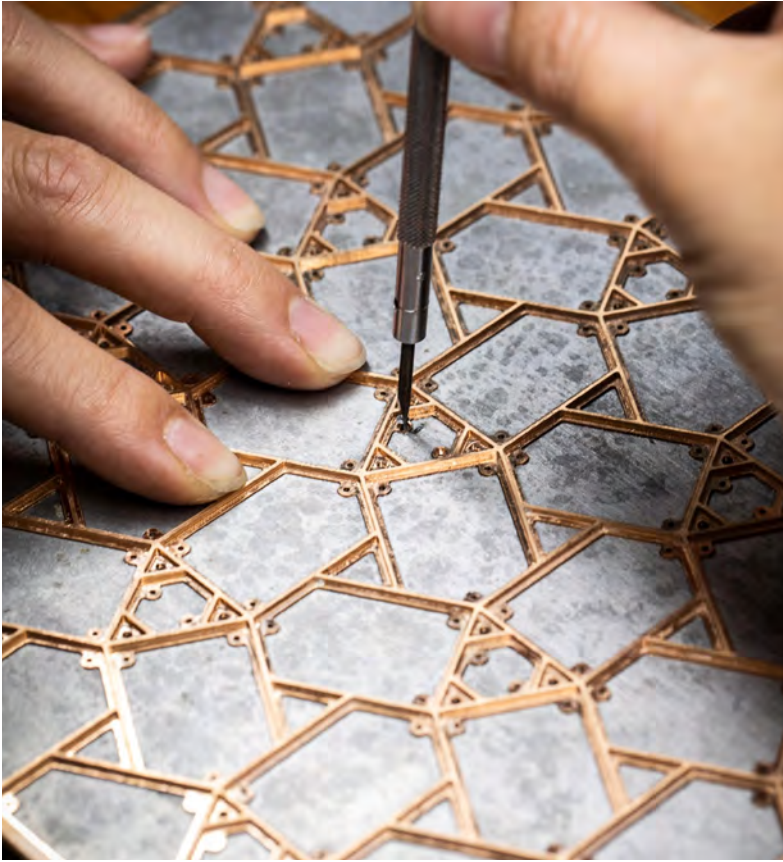


فكل دقيقة انتباه تملكها هي ثروة، وهناك من يتنافس عليها، يريدك أن تشاهد ما يريد، وتهتم بما يريد، وتفكر فيما يريد، وتستهلك ما يريد، حتى تتحول أحلامك إلى نسخة من أحلامه وأهدافك إلى وقود لتحقيق أهدافه.

أيها الانسان: أفق من غفلتك، انتبه للفتح الذي يوقعونك فيه، افطم نفسك عن التفاهات قبل أن يُفطم عقلك عن التفكير، صحح بوصلتك، صحح اتجاهك وتوجهك، قبل فوات الأوان.

(*) مقتبس من صفحة جمعية تبليغ الإسلام للدعوة للسلام

الفرق بين «الفعل» و«العمل» و«الصنع» في القرآن الكريم (*)



بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله عز وجل في سورة الحجر:

﴿وَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾
[الحجر]

وفي سورة الزلزلة:

﴿وَمِمَّنْ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾
[الزلزلة]

فلماذا كانت المحاسبة على الأعمال ولم تكن على الأفعال؟

الأفعال أقرب للعقود، منها أفعال ظاهرة (جسدية)، وأخرى باطنة (قلبية وروحية)، أما الأعمال فهي للعهود أقرب، وتكون من عدة أفعال، ظاهرة وباطنة، وصلاح العمل متوقف على سلامة الأفعال التي يتكوّن منها؛ فإذا تأسست الأفعال بشكل صحيح، كان العمل تاماً. أما الصنعة فهي المهنة وهي نتاج عمل محدّد ومكرر، ويتكوّن من عدة أفعال تعلّمه صاحبه ومارسه بإتقان وحرفية وخبرة حتى أصبح صنعةً له.

١- الأفعال أقرب للعقود:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ولتنفيذ فعل الخيرات، وجبت عدة عقود. فلا طعام المساكين مثلاً، يجب البدء بالفعل الباطني، أي النية (وبرحمة الله تُسجّل له حسنة، حتى ولو لم ينجز العمل)، ثم يشتري الطعام وهذا فعل بدنيّ، ثم يسير إلى المساكين وهذا فعل آخر، وبمجرد أن يقع الطعام في يدهم يكون العمل قد اكتمل فيؤجر عليه. لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

٢- الأعمال قريبة للعهود:

فالصلاة هي عهد بين العبد وربّه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء ١٠٣]، وللقيام بهذا العهد، هناك عدة أفعال قبلها، مثل طهارة البدن واللباس، ثم الوضوء، استقبال القبلة، فعقد النية، وهذه كلها أفعال بدنية تسبق العمل، ثم تكبيرة الإحرام والوقوف في حضور مع الله وخشية، مع استشعار بين يدي من تقف، والتأدّب مع الله، والتفكير في ما يقرأ، فكلّها أكثر الأفعال بإحسان، كلما أدّى عملاً، أو عهداً كالصلاة بإحسان، قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج ٢٣]، والعكس صحيح، فبسبب فساد الأفعال يفسد العمل، قال سبحانه: ﴿قَوْلِيلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون ٥].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ، أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، فالعهد هو مجموعة من العقود، كمثل مريدٍ عاهد شيخه على ثلاثة عقود: تلاوة القرآن الكريم يومياً، ذكر الله، وحضور مجالس العلم. فإذا أخلف بعقد واحد فقد قصر، أما إذا أخلف بالثلاثة، فقد نقض العهد كاملاً.

وخلاصة ما سبق أن الأفعال إذا تكاملت شكّلت عملاً، كما أن العقود إذا اجتمعت شكّلت عهداً.

مثال آخر، عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ
عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ»

فقد يقصد الإنسان مثلاً أن يفعل الخير، كأن يرغب في رؤية أخيه لمساعدته مالياً، فيتصل به، ويطمئن على أحواله، أو يقوم بالدعاء له بظهر الغيب، دون أن يتم المقصود بمساعدته مالياً. هو قد قام بأفعال، ولكن لم تسم عملاً لعدم إتمام الهدف، فإن أعطاه المال، اكتمل عندها العمل وأصبح "عملاً صالحاً".



ومثل ذلك أيضاً لمن نوى ارتكاب معصية، كأن يشرب نحرأً، فباشراً بالأفعال الموصلة إليها، كقيادة السيارة قاصداً متجرباً الخمر، ثم حال بينه وبين إتمام مقصده هاتف من ربه عرقل إتمام عمل المعصية، أو تعرضه لحادث سير قبل وصوله، فلم يتحقق الفعل اللاحق، وهو شرب الكحول، والذي كان سيكتمل به العمل فلا تكتب عليه السيئة إلا شرب. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همَّ بحسنة فعملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة ضعف، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت»

٣- الصنعة هي مهنة أُسست على أفعال:

أحاط بها صانعها ظاهراً وباطناً، فأنتجت عملاً كاملاً مُتقناً، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ "صانع" لقوله تعالى:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل ٨٨]، بالإضافة إلى ذلك فقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن

الكريم عن صنعة الأنبياء فسيّدنا محمد ﷺ كان بعظيم خلقه دائم الرأفة والرحمة بالخلق، حتّى وصفه الله عز وجل بالروؤف والرحيم

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]،

وعن سيّدنا داود قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وكذلك

قوله عز وجل في سيّدنا نوح: {وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا، إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} [هود: ٣٧]. ومّا ورد في

قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦].

فالسّحرة صنعوا السحر من خلال تكرارهم لأفعاله، وممارسته وإتقانهم له.

ومن أمثلة الصنعة أيضاً: أنّ دعوة شخصٍ إلى دين الله تُعدُّ عملاً حسناً، وأمّا من لازم الدعوة بهمة وإتقان والتزام، فقد أصبح داعيةً

إلى الله.

وقد جاء في الحديث الشريف عن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى
الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى
الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا،
وَأَيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي
إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى
النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى
الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"



ومن الأمثلة على ذلك أيضًا عندما يتكرر الكذب عند أحدهم يصبح "

كذَّابًا " أي صنعته الكذب، {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا،

إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت ١٧].



وبسبب التكرار مع الإتيان صارت بعض الصناعات
تنسب إلى أصحابها، كصفة تعريف مثل آل النجار الذين
كانوا يعملون في التجارة، وآل الصائغ الذين كانوا يصيغون
الذهب.

الخلاصة

يتكوّن العمل إذن من مجموعةٍ من الأفعال المتكاملة، تشمل الأفعال البدنية التي يستعملُ فيها الإنسان حواسّه، فيتكلّم بلسانه، ويحرّك يديه، بالإضافة إلى ذلك فهناك أفعال للقلوب وللأرواح ، فإذا أتقن الإنسان هذه الأفعال جميعها، وأحسن أدائها ظاهراً وباطناً، تكوّن منها عمل مُتقن يحقق غايته ويبلغ هدفه؛ فنجاح العمل مرهون بإتقان الأفعال، بدءاً من النية في القلب، ومن صفاء السريرة، إلى حسن التعبير، وصولاً إلى حركة الجسد، هذه الأفعال تعاونت معاً حتى أنتجت عملاً كاملاً، وهذا العمل الكامل إذا تكرر أصبح صنعة يُنتع صاحبها بها. أمّا إذا اقتصر أداء الأفعال على الجانب الجسدي وحده، وغابت عنه النية الصالحة، أو الوعي، أو الإخلاص، فإن العمل يفقد كماله، ويصبح مجرد حركاتٍ ظاهرية لا تحقق الغاية المرجوة. فعليّنا إصلاح نوايانا بما نعمل، وأن نطهر سرائرنا ونجعلها خالصة لله تعالى. فطاقة العمل مرتبطة بنيته، فإن كانت نيته الثناء انتهت طاقته بالثناء، وإن كانت نيته المردود الماديّ انتهت طاقة عمله بالمردود الماديّ، أمّا إن كانت نيته خالصة لوجه الله فإن أثر العمل يبقى ولا يفنى، قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهِا فَاَن (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾

[الرحمن]

(*) إعداد: سعد حذيفة ومايا حمزة حذيفة، بإشراف ومراجعة: الدكتور جورج ضاهر.

"حين تختزل

المرأة

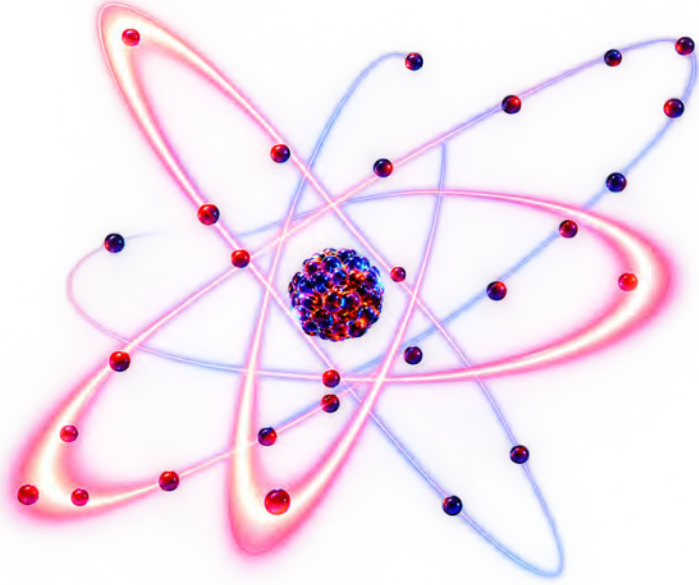
إلى جسد:

عن سرقة

الروح والكيان"

زينب ضاهر حيدر (*)

هل يمكن لقوانين الفيزياء أن تكشف لنا شيئاً عن أزمة إنسانية واجتماعية نعيشها كل يوم؟ هل يمكن لتجربة مخبرية أُجريت على جسيمات لا تُرى بالعين المجردة أن تُضيء زاوية مظلمة في طريقة نظرنا إلى المرأة؟ والسؤال الأهم، هل نظرة المجتمع هي التي تحدد هوية المرأة أم المرأة نفسها تشارك في جريمة محو هويتها ودورها الحقيقي؟



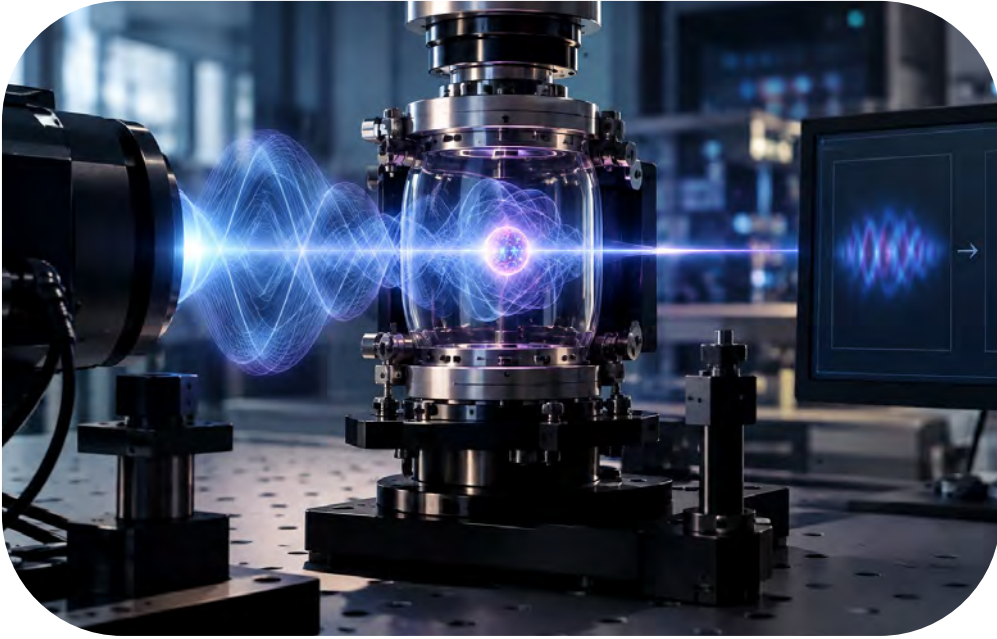
في عالم ميكانيكا الكم، اكتشف العلماء حقيقة مذهلة: إن مجرد مراقبة الإلكترون تُغيّر طبيعته، فتُحوّله من موجة غنية بالاحتمالات إلى جسيم جامد محدود. هذه الظاهرة التي عُرفت بتأثير المراقب لا تقتصر على المختبرات والمعادلات، بل تحمل في طياتها استعارة بليغة تنطبق على واحدة من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تواجهها المرأة في العالم المعاصر: ظاهرة التشيي. أي أن تعامل المرأة كشيء مجرد من إنسانيتها وحسّه ودوره المجتمعي والعائلي والتفاعلي.

فكما أن نظرة الفيزيائي تختزل الإلكترون وتُفقد ثرائه، فإن نظرة المجتمع التشيئية تختزل المرأة من كائن متعدد الأبعاد — عقلاً وروحاً وطموحاً وإنسانية — إلى مجرد جسد يُعرض ويُقيم. وقد شغلت هذه الظاهرة المفكرات النسويات اللواتي وضعن أطراً نظرية لفهمها وتفكيكها، من مارثا نوسباوم إلى كاثرين ماكينون وغيرهن.

غير أن هذا النقاش ليس وليد الفكر الغربي المعاصر وحده، فقبل قرون طويلة من ظهور النظرية النسوية ومختبرات الفيزياء الكمية، جاء الإسلام بمنظومة متكاملة رفضت اختزال المرأة في بُعدها المادي، وأرست قيمتها على أساس روحي وأخلاقي عميق، فربطت كرامتها بإنسانيتها وإيمانها وعملها ومشاركتها، لا بمظهرها وجسدها.

وكما يضع الإسلام حدوداً بين العباد يضع أيضاً حدوداً بين المرء ونفسه، فيعي وجود النفس الأمانة بالسوء، واللومة وكيف ترتقي لتكون نفساً راضية مرضية، ووضع حدوداً للشهوات وحب الدنيا، ودعا إلى تزكية النفس، إذ لا سلطة للمجتمع على المرأة متى ما تسلّحت بالعلم والتقوى وعلمت الأهداف وراء تشيئها وجعلها سلعة تباع وتُشتري، وما انقياد المرأة لهذه الأهداف إلا لملها إلى تسليع نفسها ورفضها لكرامتها وروحها، في الدنيا قبل الآخرة.

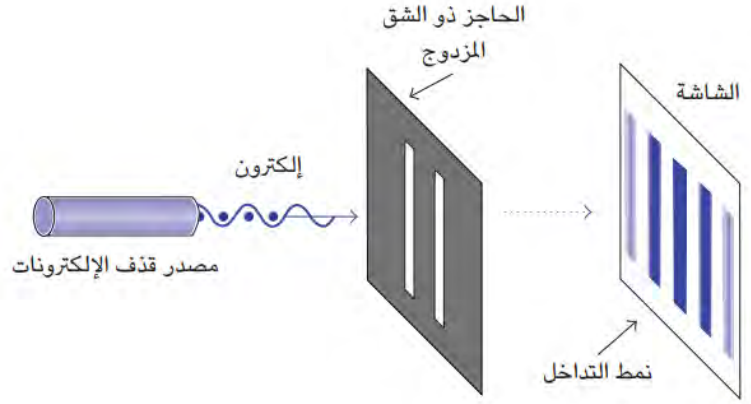
في هذه المقالة، ننطلق من قلب المختبر الفيزيائي لفهم كيف تعمل آلية الاختزال، ثم نعبّر إلى الفضاء الاجتماعي لنستكشف كيف تنعكس هذه الآلية على واقع المرأة من خلال ظاهرة التشبيء كما حللتها النظريات النسوية، وصولاً إلى الرؤية الإسلامية التي قدّمت بديلاً حضارياً يُعيد للبرأة أبعادها الكاملة ويرفض أن تكون مجرد "جُسيم" تحت مجهر النظرة المادية.



تجربة الشق المزدوج Double-Slit Experiment

في ميكانيكا الكم، لا تعني "مراقبة" الإلكترون النظر إليه بالعينين المجردتين، بل تعني قياسه باستخدام جهاز ما. فعندما لا يكون الإلكترون خاضعاً للمراقبة، فإنه يسلك سلوك الموجات المنتشرة، أي يوجد في حالة ضبابية من الاحتمالات. أما حين نقوم بمراقبته، فإن عملية القياس تُجبر دالة الموجة الخاصة به على الانهيار، فيتحول فوراً إلى جسيم محدد الموقع. وأشهر تجربة توضح هذه الظاهرة هي تجربة الشق المزدوج، التي أُجريت في البداية باستخدام الضوء، ثم تم التحقق منها لاحقاً باستخدام الإلكترونات.

عندما يُطلق الفيزيائيون إلكترونات فردية عبر حاجز يحتوي على شقين، فإن هذه الإلكترونات لا تنصرف كالكرات البسيطة التي تسقط في كومتين منتظمتين، بل يتشكل على الجدار الخلفي نمط تداخل من أشرطة مضيئة ومظلمة. يُثبت هذا النمط أن دالة الموجة الخاصة بالإلكترون تنتشر وتمر عبر الشقين في آنٍ واحد، وتداخل مع نفسها تماماً كالتجوجات في بركة ماء.



كن حين يضع العلماء كاشفاً عند الشقين لمعرفة أي شق بالضبط يمر منه الإلكترون، يختفي نمط التداخل على الفور، ويتحول إلى شريطين عاديين كلاسيكيين. فجرد محاولة قياس مسار الإلكترون تُجبره على اختيار شق واحد محدد، مما يُدمر خصائصه الموجية. ورغم أن هذه الظاهرة تبدو سحرية، إلا أن الفيزيائيين يرجعونها إلى اضطراب فيزيائي يُعرف بتأثير المراقب. فلا يمكن مراقبة شيء دون التفاعل معه فيزيائياً؛ إذ لكي "نرى" إلكترونًا، نحتاج إلى ارتداد شيء آخر عنه كفوتون من الضوء. ونظراً لأن الإلكترونات متناهية الصغر، فإن هذا التفاعل يحدث حتماً اضطراباً فيها ويُغيّر حالتها الكمية. وبذلك فإن عملية القياس تُحطّم الحالة الكمية الهشة، وتُجبر دالة الموجة على الانهيار والتحول إلى واقع واحد ملموس.



وإذا انتقلنا من عالم الفيزياء إلى عالم الإنسان، نجد أن ظاهرة تشيء المرأة تعمل بمنطق مشابه بشكل لافت. فالمرأة، في حقيقتها الكاملة، كائن متعدد الأبعاد: عقل يفكر، وروح تشعر، وطموح يتطلع، وهوية معقدة تشابك فيها الأدوار والإمكانات، تماماً كالإلكترون في حالته الموجية الغنية بالاحتمالات. غير أن "نظرة" المجتمع التشيئية تعمل عمل جهاز القياس في التجربة الكمية: حين يختزل المجتمع المرأة في مظهرها الجسدي فقط، فإنه يُجبر كل تلك الأبعاد الثرية على "الانهيار"، ويحوّلها من كيان حيّ نابض بالإمكانات إلى "جسم" جامد ومحدد، أي مجرد جسد يُنظر إليه ويُقيّم.

وكما أن الإلكترون لا "يختار" أن يفقد طبيعته الموجية بل يفرض عليه ذلك بفعل القياس، فإن المرأة لا تتخلى طوعاً عن أبعادها الإنسانية، بل تُسلب منها حين تُختزل في بُعد واحد. وكما أن جهاز القياس لا يكشف حقيقة الإلكترون بل يُشوّهها، فإن النظرة التشيئية لا تكشف حقيقة المرأة بل تُشوّه صورتها وتطمس جوهرها.

والمفارقة الأعمق تكمن في أن المراقب في كلتا الحالتين يظن أنه يرى الحقيقة، بينما هو في الواقع يصنع واقعاً مُشوّهًا بفعل مراقبته ذاتها. فكما أن الفيزيائي لا يستطيع أن يرصد الإلكترون دون أن يُغيّره، فإن المجتمع حين ينظر إلى المرأة من خلال عدسة التشيء، لا يراها كما هي، بل يراها كما صنعتها نظرتة. وبذلك يصبح تأثير المراقب ليس ظاهرة فيزيائية فحسب، بل استعارة عميقة تكشف كيف أن أنماط النظر والتقييم التي نمارسها لا تصف الواقع، بل تُعيد تشكيله وتختزله.

تشيء المرأة

تُعد ظاهرة تشيء المرأة من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات الحديثة، وهي تعني تحويل المرأة إلى مجرد جسد أو سلعة، مع تجاهل فكرها، عقلها، مشاعرها، وإنسانيتها. هذا التشيء يتجلى في الإعلانات التي تستغل جسد المرأة، وفي المعايير المجتمعية التي تحصر قيمتها في مظهرها، وحتى في بعض الممارسات التي تشجع المرأة على تشيء نفسها.



يشير التشيء الجنسي إلى معاملة الشخص كأداة جنسية دون اعتبار لكرامته أو شخصيته، ويرتبط هذا المفهوم بالنظرية النسوية وعلم النفس.

يتم تعزيز هذا التشيء من خلال وسائل الإعلام والإعلانات التي تعرض صورة نمطية للمرأة. أحياناً، تشارك المرأة نفسها في هذا التشيء من خلال الهوس بالمظهر الخارجي، مما يجعلها أداة في عملية تجاهل ذاتها الداخلية. هذا لا يعني أن الاهتمام بالجمال أمر سلب، بل أن حصر القيمة الإنسانية فيه هو ما يمثل المشكلة.

وجهات نظر نسوية حول التشيء^(١):

يُعدّ التشيء مفهوماً محورياً في النظرية النسوية، ويمكن تعريفه بشكل عام بأنه رؤية الشخص و/أو معاملته، وعادةً ما تكون امرأة، باعتباره شيئاً أو موضوعاً. يركّز هذا المدخل بشكل أساسي على التشيء الجنسي، أي التشيء الذي يحدث في النطاق الجنسي. وقد حددت مارثا نوسباوم (١٩٩٥، ص ٢٥٧) سبع سمات تنطوي عليها فكرة معاملة الشخص بوصفه شيئاً:



إنكار الاستقلالية: معاملة الشخص بوصفه فاقداً للاستقلالية وتقرير المصير.

الانحול: معاملة الشخص بوصفه فاقداً للفاعلية، وربما أيضاً للنشاط.

قابلية الاستبدال: معاملة الشخص بوصفه قابلاً للتبديل مع أشياء أخرى.

قابلية الانتهاك: معاملة الشخص بوصفه فاقداً لسلامة الحدود الشخصية.

التملك: معاملة الشخص بوصفه شيئاً مملوكاً لشخص آخر (يمكن شراؤه أو بيعه).

إنكار الذاتية: معاملة الشخص بوصفه شيئاً لا حاجة لمراعاة تجاربه ومشاعره (إن وجدت).

وقد أضافت راي لانغتون (٢٠٠٩، ص ٢٢٨-٢٢٩) ثلاث سمات أخرى إلى قائمة نوسباوم:

الاختزال في الجسد: معاملة الشخص باعتباره مُتماهياً مع جسده أو أجزاء من جسده.

الاختزال في المظهر: معاملة الشخص بشكل أساسي من حيث مظهره، أو كيف يبدو للحواس. الإسكات: معاملة الشخص كما لو كان

صامتاً، فاقداً للقدرة على الكلام.

وقد اعتبرت الغالبية العظمى من المفكرين الذين ناقشوا التشيء أنه ظاهرة إشكالية أخلاقياً. ويتجلى ذلك بشكل خاص في النقاشات النسوية حول المواد الإباحية. فقد طرحت النسويتان المناهضتان للإباحية كاثرين ماكينون وأندریا دوركين، متأثرتين بمفهوم إيمانويل كانط للتشيء، حججاً شهيرة مفادها أنه بسبب استهلاك الرجال للمواد الإباحية، يُختزل النساء كمجموعة إلى مرتبة مجرد أدوات لأغراض الرجال. فضلاً عن ذلك، طرحت نسويات مثل ساندرا بارتيكي وسوزان بوردو أن النساء يتعرضن للتشيء من خلال الانشغال المفرط بمظهرهن. كما كرّست أعمال حديثة مهمة من قبل الباحثات النسويات لاستكشاف العلاقة بين الموضوعية والتشيء.

وفي الآونة الأخيرة، تحدت بعض المفكرات، مثل مارثا نوسباوم، فكرة أن التشيء ظاهرة سلبية بالضرورة، مطرحة إمكانية وجود تشيء إيجابي. فرغم أن معاملة الشخص بوصفه شيئاً (بوحدة أو أكثر من الطرق المذكورة أعلاه) غالباً ما تكون إشكالية، تُجادل نوسباوم بأن التشيء يمكن أن يتخذ في بعض السياقات أشكالاً حميدة أو حتى إيجابية، وقد يُشكّل جزءاً قيماً وممتعاً من حياتنا. أما نانسي باور، ففي عملها القادم، تُشكك في فكرة أنه من المنطقي أصلاً تحديد علامات وسمات مصطلح "التشيء"، إذ تُجادل بأن مثل هذه المحاولة لن تؤدي إلا إلى تشويه الظاهرة المعنية (٢٠١٥).

المرأة في الإسلام روحاً لا جسداً

من الأسئلة المحورية التي يجب على الإنسان أن يسألها لنفسه، من أنا؟ وكذلك المرأة، لتسأل نفسها من هي، وما هي هويتها؟ أعطى الإسلام المرأة هوية، كياناً وهدفاً، وأدوات لتحقيق الصلة بالله تعالى والخلافة على الأرض، كلّ حسب وظيفته المناطة به، فلكل إنسان دور، ودور المرأة عظيم وهامّ وللأسف، جردت منه، عبر ميلها للشهوات وحب الدنيا، وتوجيه الإعلام الحالي لها نحو الهاوية. تشجيع لا متناهي لتتخلّى المرأة عن خصوصيتها وكيانها وتبيحه للعلن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كلها خلعت أنوثتها وخلعت حياءها زادت لديها المشاهدات وأصبحت مادة دسمة للمجتمع. فاعتقدت أنها أنجزت شيئاً وفي الحقيقة لم تحقق أي إنجازاً.

جاء الإسلام في بيئة كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية قائمة على الاختزال والتهميش، فأحدث تحولاً جذرياً في هذه النظرة حين أرسى مبدأ المساواة في الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة. فالخطاب القرآني لم يُعرّف المرأة يوماً من خلال جسدها أو مظهرها، بل خاطبها بوصفها نفساً مكلفة ومسؤولة، تحمل أمانة العبادة والاستخلاف في الأرض شأنها شأن الرجل تماماً، كما جاء في قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[النحل: ٩٧]

وبذلك ربط الإسلام قيمة الإنسان، ذكراً كان أو أنثى، بالتقوى والعمل لا بالمظهر أو الجسد، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.



وقد منح الإسلام المرأة بُعداً روحياً عميقاً حين جعلها شريكة كاملة في التكليف الإلهي والثواب والعقاب، فلم تكن في التصور الإسلامي تابعة لأحد في علاقتها بالله، بل هي ذات مستقلة تُحاسب على أعمالها وتُجازى عليها بشكل فردي. كما أعلى الإسلام من مكانتها الأخلاقية والاجتماعية حين جعل برّ الأم مقدّماً ومكرّراً ثلاث مرات قبل الأب في الحديث النبوي الشريف، وحين جعل رضاها وإحسان معاملتها طريقاً إلى الجنة.

والأهم من ذلك أن الإسلام حين أمر بالحجاب والحشمة، لم يكن يُقيّد المرأة، بل كان يُحرّرها من أن تُختزل في بُعدها الجسدي، ويُعيد توجيه الأنظار نحو جوهرها الحقيقي: عقلها وخلقها وإنسانيتها. وبهذا المعنى، قدّم الإسلام رؤية مضادة تماماً لثقافة التشيي، رؤية ترفض أن تكون المرأة موضوعاً للنظر والتقييم، وتُصرّ على أنها ذات فاعلة ذات كرامة أصيلة لا تُستمدّ من مظهرها، بل من إنسانيتها وإيمانها وعملها.

والسؤال الأهم، لماذا تسمح المرأة بأن تُختزل وتصبح سلعة؟ متى ستعي قيمتها ومكانتها الحقيقية وترفض أن تتركب الموجة السائدة وتقول لا؟

حقوق المرأة في الإسلام | نظرة شاملة ومبسطة

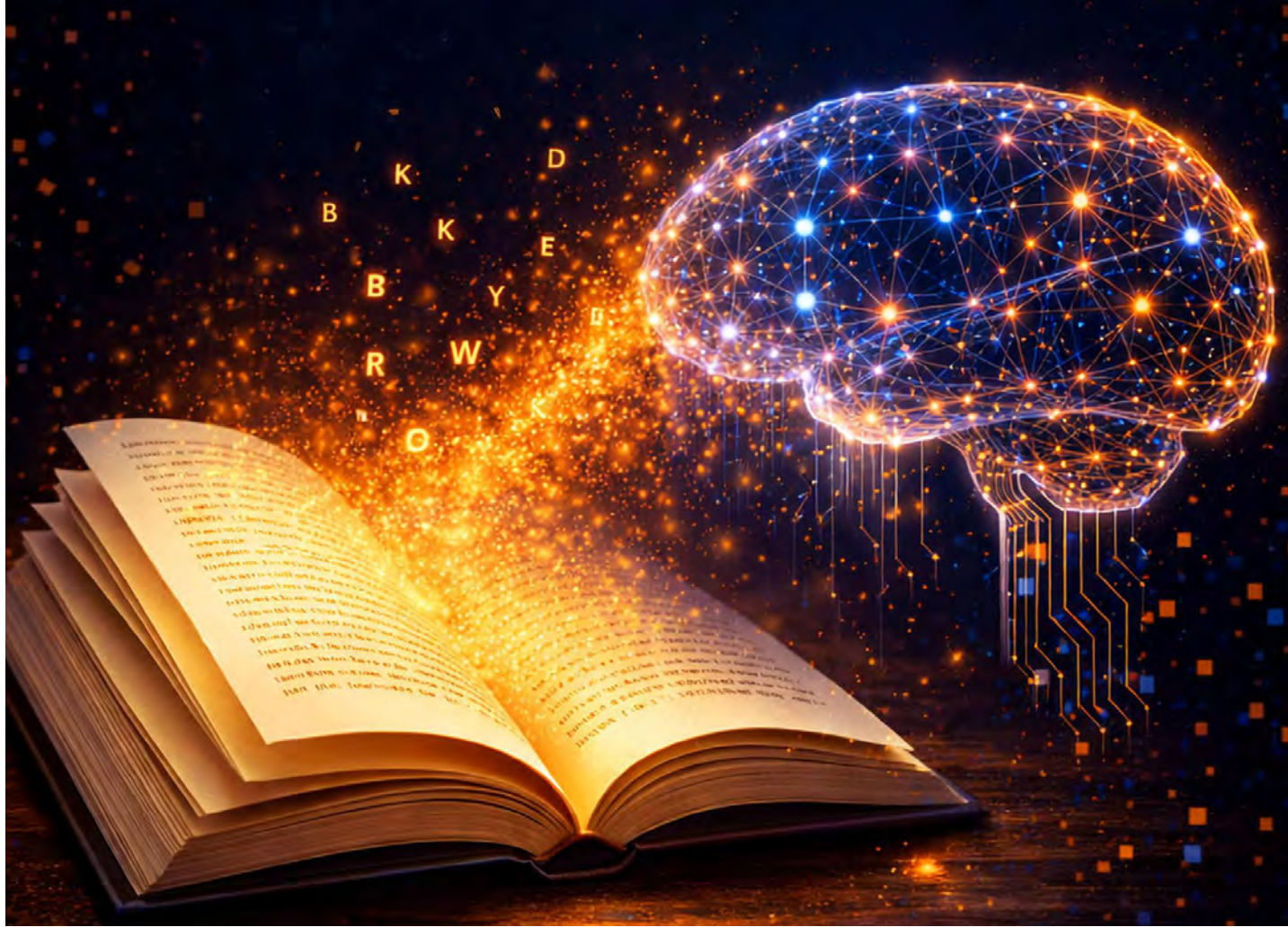
الزواج واختيار الشريك - أقر الإسلام حق المرأة في اختيار زوجها. - أوصى النبي ﷺ بالظفر بذات الدين. المشاركة المجتمعية - مشاركات متنوعة في التاريخ الإسلامي.	حق الخلع (طلب الطلاق) - كفل الإسلام للمرأة حق طلب الانفصال. المشاركة المجتمعية - مشاركات متنوعة في التاريخ الإسلامي. - الجهاد - رواية الحديث - تأسيس المؤسسات التعليمية	الخدمة المالية استقلال ذمة مالية مستقلة. الخدمة المالية والاستقلال الاقتصادي - ذمة مالية مستقلة. - حق العمل والتملك - والكسب المادي. - الالتزام بالضوابط الشرعية.	في حال عدم القدرة على الحياة الزوجية. المشاركة المجتمعية - مشاركات متنوعة في التاريخ الإسلامي. - الجهاد - رواية الحديث - تأسيس المؤسسات التعليمية
--	--	---	--

(*) زينب ظاهر حيدر: باحثة في علوم التفسير والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وعضو في منتدى الإعجاز العلمي - بيروت، حاصلة على درجة الماجستير في الصحافة، ومتخصصة في الإعلام الرقمي والتسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

المصادر:

1- نشر لأول مرة يوم الأربعاء 10 مارس 2010؛ وخضع لمراجعة جوهرية يوم السبت 13 يناير 2024.

1. Faye, J. (2002). Copenhagen Interpretation of Quantum Mechanics. Stanford Encyclopedia of Philosophy. <https://plato.stanford.edu/entries/qm-copenhagen/>
2. Feynman, R., Leighton, R., & Sands, M. (1965). The Feynman Lectures on Physics, Vol. 3. Addison-Wesley.
3. N ssbaum, M. C. (1995). Objectification. Philosophy & Public Affairs, 24(4), 249–291.
4. Langton, R. (2009). Sexual Solipsism: Philosophical Essays on Pornography and Objectification. Oxford University Press.
5. Fredrickson, B. L., & Roberts, T. A. (1997). Objectification theory: Toward understanding women's lived experiences and mental health risks. Psychology of Women Quarterly, 21(2), 173–206.
6. Wadud, A. (1999). Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective. Oxford University Press.
7. Barlas, A. (2002). "Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an. University of Texas Press.



لماذا اكتب؟

د. عبد الكريم بكار (*)

قبل فترة، تعرضت لموقف محرج؛ نسيتُ أين وضعتُ مفاتيح سيارتي، وبقيتُ أبحث عنها لنصف ساعة كاملة. في تلك اللحظة تملكني غيظ شديد من دماغي، هذا الجهاز الخارق الذي يحتوي على مئة مليار خلية عصبية، ولكنه يعجز عن تذكر مكان بضع قطع معدنية صغيرة!

هذا الإحباط اليومي دفعني "للنبش" وراء حقيقة بيولوجية مرعبة: الدماغ البشري لم يُصمم أصلاً ليتذكر! علمياً، دماغنا بارع جداً في "النسيان". إنه يحو آلاف التفاصيل يومياً تلقائياً ليوفر الطاقة. بيولوجياً، ذاكرتنا الداخلية هشة وسريعة العطب، وهنا واجهتُ السؤال الصادم:

الإعجاز، العدد الستون، السنة التاسعة عشرة، جمادى الأولى ١٤٤٨هـ خريف ٢٠٢٦ م

كيف وصلنا كبشر إلى كل هذا التقدم العلمي المعقد إذا كانت عقولنا بهذه الغرالية؟
الإجابة اختصرها لغز تاريخي حقيقي غير وجه البشرية.

تجربة "شامبليون" وثورة الحجر

في عام ١٧٩٩، عثر جنود فرنسيون في مصر على حجر أسود غريب (حجر رشيد). هذا الحجر لم يكن يحوي قصيدة شعرية أو تنبؤات للمستقبل، بل كان مجرد مرسوم ملكي إداري ممل، كُتب بثلاث لغات مختلفة.

لكن هذا الحجر "الممل" كان نافذة لفك شفرة الحضارة المصرية القديمة بأكملها.

عندما كنتُ أقرأ عن هذا، صعقتني فكرة: الفراعنة ماتوا، وتحلت أجسادهم، ونسي أحفادهم لغتهم تماماً. لولا أن شخصاً ما قرر أن يختر تلك الكلمات على حجر صلب، لضاعت عقول ملايين البشر وتجاربهم في طيات النسيان إلى الأبد.

منذ تلك اللحظة، أدركتُ أن الكتابة لم تكن يوماً ترفاً، ولا مجرد هواية، وإنما نعمة امتنَّ الله بها على الإنسان، وجعلها سبباً لحفظ العلم، وتراكم الخبرة، واستمرار الحضارة عبر الأجيال. ولذلك افتتح سبحانه أول ما نزل من الوحي بقوله:

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

[العلق: ٤]



معجزة الذاكرة الخارجية



لو نظرنا إلى الأمر من زاوية علمية مجردة، سنجد أن الكائنات الحية الأخرى تنقل خبراتها عبر "الحمض النووي" (DNA) فقط. الفأر لا يستطيع أن يترك لابنه كتاباً يخبره فيه كيف يتجنب المصيدة، لذا يضطر كل فأر جديد أن يتعلم بالخطأ والتهلكة.

الإنسان هو الكائن الوحيد على هذا الكوكب الذي استطاع نقل معلوماته خارج جسده.

الكتابة هي عملية "تثبيت الوعي". عندما أكتب فكرة خطرت لي، أنا حرفياً أنقل نبضة كهربائية سريعة الزوال من داخل خلايا دماغي، وأحولها إلى مادة فيزيائية مستقرة (حبر أو بكسلات رقمية). هذه المادة تمتلك خاصية خارقة: إنها لا تمرض، لا تشيخ، ولا تنسى.

لماذا أكتب؟

اليوم، حين أمسك بالقلم أو أضغط على لوحة المفاتيح، أدرك تماماً ماذا أفعل.

أنا لا أمارس طقساً أدبياً، بل أقوم بعملية "ترقية" بيولوجية لدماغي المحدود. أفرغ شحنات التفكير المزدحمة في رأسي على الورق، ليتسنى لعقلي أن يرتاح، ويتأمل، ويبنى فوق ما كُتب.

بدون الكتابة، كنا سنضطر في كل جيل أن نعيد اكتشاف العجلة، والنار، ومضادات الحيوية. نحن حرفياً نقف فوق أكتاف العمالقة الذين كتبوا تجاربهم قبلنا، وأنا أكتب اليوم حتى يجد من يأتي بعدي كتفاً يستند إليه.

(*) د عبد الكريم بكار، لغوي وأكاديمي سوري، يهتم بتجديد الفهم الإسلامي وربطه بواقع الحياة وبناء الإنسان.



نصائح عملية للحفاظ على صحتك العقلية

عادات صحية صغيرة وقابلة للتحقيق تدعم صحتك العقلية وتقلل من خطر الإصابة بالخرف، خاصة مرض ألزهايمر. فبدلاً من الانغماس في قرارات السنة الجديدة غير الواقعية، توضح معالجة إعادة التأهيل المعرفي، ناتالي ماكنزي، أنه من الأفضل التركيز على خطوات بسيطة تساهم في تعزيز نشاط الدماغ وتحسن الذاكرة على المدى الطويل.

وفيما يلي ٩ نصائح عملية للحفاظ على صحة دماغك:

١ - تحرك بانتظام:



لا حاجة لقضاء ساعات طويلة في صالة الألعاب الرياضية، حيث يمكن جلسات سريعة من التمارين، مثل المشي أو الركض أو ركوب الدراجة، أن يكون لها تأثير كبير على صحة عقلك. وأظهرت الدراسات أن النشاط البدني المنتظم يقلل من خطر الإصابة بالخرف بنسبة تصل إلى 20%. وحتى 20 دقيقة من الحركة عدة مرات في الأسبوع ستعزز الذاكرة والتركيز.

٢ - كن اجتماعيا:



العزلة الاجتماعية قد تزيد من خطر الإصابة بالخرف بنسبة ٢٥٪. لذلك، اجعل الأنشطة الاجتماعية جزءا من روتينك اليومي. وشارك في تمارين جماعية مع الأصدقاء أو استمتع بنزهة مع من تحب لتقوية علاقتك الاجتماعية وتحسين صحة دماغك.

٣- احصل على قسط كاف من النوم:



يعد النوم الجيد أساسيا للحفاظ على صحة عقلك. وأظهرت الدراسات أن قلة النوم تزيد من خطر الإصابة بالخرف. لذا، تأكد من الحصول على ٧ إلى ٨ ساعات من النوم المتواصل كل ليلة لحماية دماغك من التدهور المعرفي.

٤- قلل من تعدد المهام:



ركز على مهمة واحدة فقط بدلا من محاولة القيام بعدة مهام في وقت واحد، حيث أن تعدد المهام يمكن أن يستهلك طاقتك ويقلل من التركيز.

٥- احرص على الحفاظ على وزن صحي:

تعد السمنة من العوامل التي تزيد من خطر الإصابة بالحراف. لذا، حافظ على وزن صحي من خلال التغذية المتوازنة والنشاط البدني المنتظم، ما سيعزز الذاكرة ويقلل من خطر الإصابة بمشاكل صحية مرتبطة بالحراف.



٦- تناول غذاء غنيا بالمغذيات:

النظام الغذائي له تأثير كبير على صحة دماغك. تناول الأطعمة الغنية بالفيتامينات والمعادن مثل السبانخ والبروكلي والأفوكادو والمكسرات، بالإضافة إلى المأكولات البحرية مثل السلمون، لتعزيز قدرة الدماغ وتحسين التركيز.

٧- اختر هواية جديدة:



احرص على ممارسة هواية جديدة، مثل الرسم أو تعلم آلة موسيقية. فالأنشطة التي تحفز الدماغ، مثل تعلم مهارات جديدة، تساعد على تحسين الذاكرة والتركيز، بالإضافة إلى زيادة الشعور بالإنجاز.

٨- قلل من وقت الشاشة:



قلل من الوقت الذي تقضيه أمام الشاشات، خاصة قبل النوم. فالضوء الأزرق المنبعث من الأجهزة يضر بنومك ويؤثر سلباً على إيقاعك اليومي. واستبدل ذلك بقراءة كتاب أو الاستماع إلى الموسيقى المريحة لتحسين نومك وصحة دماغك.

٩- قم بإجراء فحوصات منتظمة:



لا تتردد في إجراء فحوصات معرفية بانتظام لمتابعة صحة دماغك. ويمكن لاكتشاف أي علامات مبكرة للتدهور المعرفي أن يساعد في اتخاذ خطوات وقائية وعلاجية مبكرة للحفاظ على ذاكرتك.

(*): Natalie Mackenzie:

Founder & Director BIS Services | Cognitive Rehabilitation Therapist, 25 yrs | The Cognitive Strategist (business cognitive performance) | MSc Cognitive Neuropsychology | Chair, ISCR | Fatigue and ADHD Specialist

لماذا يشغل "الحلال"

الرأي العام العالمي

بينما يمر "الكوشر" بهدوء

الأستاذ عبد الفتاح خطاب (*)



Kosher

vs



Halal

في عالم يتداخل فيه الدين بالاقتصاد والسياسة، تبرز مسألة الطعام كواحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في المجتمعات الغربية المعاصرة. ورغم أن الشريعتين الإسلامية واليهودية تشتركان في أحكام متطابقة تقريباً تقيّد طريقة التعامل مع الغذاء وعمليات الذبح، مثل تحريم لحم الخنزير، وقطع الأوداج، إلا أن التعاطي المجتمعي والسياسي مع مصطلح "الحلال" يختلف تماماً عن نظيره "الكوشر". هذا التباين يطرح تساؤلاً جوهرياً: ما الأسباب التي تجعل طعام المسلمين تحت مجهر الرقابة والجدل المستمر، بينما يمر طعام اليهود بهدوء ودون إثارة تذكر؟

حجم التواجد الديموغرافي والاقتصادي

تبدأ الإجابة عن هذا التساؤل من لغة الأرقام والانتشار الديموغرافي؛ فالهجم الهائل للجاليات المسلمة في الغرب مقارنة بالجاليات اليهودية جعل من سوق الحلال قوة اقتصادية ضخمة لا يمكن للشركات الكبرى تجاهلها. ولم يعد الطعام الحلال محصوراً في دكاكين الأحياء والمحلات المتخصصة، بل اقتحم سلاسل السوبرماركت العالمية، والمطاعم الشهيرة، والمؤسسات العامة كالمدارس والمستشفيات. هذا الظهور الواسع والعني في الفضاء العام جعله ملبوساً لعامة المجتمع، بخلاف الكوشر الذي ظل تاريخياً منزوياً في نطاقات تلبية احتياجات مجتمعات محددة، مما أبعد عنه الاحتكاك المباشر مع الثقافة السائدة.

تشريعات الرفق بالحيوان ومسألة الصعق

هذا الحضور الطاعني وضع صناعة الحلال في مواجهة مباشرة مع القوانين الغربية الحديثة، وتحديدًا تلك المتعلقة بحقوق الحيوان. إذ تفرض العديد من الدول تشريعات صارمة تلزم المسالخ بصعق الحيوان لإفقاده الوعي قبل ذبحه تجنباً للألم. وفي الوقت الذي ترفض فيه الهيئات المشرفة على الكوشر الصعق رفضاً قاطعاً، تنقسم الهيئات الإسلامية بين مؤيد للصعق الخفيف الذي لا يقتل الحيوان ومستوفٍ للشروط، ومعارض له. ورغم هذا الانقسام، تسلط وسائل الإعلام والجمعيات الحقوقية الضوء بشكل مكثف على مسالخ الحلال نظراً لكثرتها وحجم إنتاجها الضخم، مما يجعلها الواجهة الأساسية للنقاشات القانونية والسياسية حول الرفق بالحيوان، متناسية في كثير من الأحيان أن الكوشر يطبق معايير أكثر صرامة في منع الصعق.



التأثير السياسي وسجلات الهوية



لكن الجدل لا يتوقف عند حدود المسالخ؛ فالأبعاد السياسية والاجتماعية تلعب الدور الأكبر في تشكيل هذا المشهد. ففي مناخ سياسي مشحون بالنقاشات حول الهجرة، والاندماج، والهوية الوطنية، غالباً ما يُستغل موضوع "الحلال" كأداة سياسية من قبل تيارات معينة لإثارة المخاوف مما يسمى "أسلمة المجتمع". في المقابل، تحظى منظومة الكوشر بقبول تاريخي مستقر، حيث اندمجت في القوانين التجارية والغذائية للغرب منذ عقود طويلة، مما جعلها جزءاً مألوفاً وغير مهدد للمجتمع الحاضر.

استجابة الجاليات بين رد الفعل العاطفي والمؤسسية الناجزة



لا يقتصر التباين على النظرة الخارجية للظاهرة، بل يمتد إلى طريقة تعاطي كلتا الجاليتين مع أصوات الاحتجاج والتدقيق. فعلى الجانب الإسلامي، غالباً ما تنسم استجابة الجاليات والجمعيات في الغرب بلعب دور "رد الفعل"، حيث يُعامل مع حملات المناهضة أو التشكيك بطابع دفاعي ينطوي على الحذر العاطفي والشعور بالاستهداف، مع تسجيل ضعف ملحوظ في التنسيق المؤسسي الموحد للرد القانوني والإعلامي. في المقابل، تمتلك الجالية اليهودية منظومة ضغط وتواصل مؤسسي تاريخية ومجربة؛ إذ تتعامل مع أي مساس بمنظومة "الكوشر" باعتباره تمديداً يهدد الحريات الدينية المكفولة دستورياً، فتبادر فوراً إلى تحريك المسارات القانونية والدبلوماسية والإعلامية بصرامة وهدوء، دون الخوض في سجلات جماهيرية مفتوحة. هذا الفرق في الآلية الدفاعية يجعل الاحتجاج ضد الحلال يمتد ويتسع لعدم وجود صدى مؤسسي حازم، بينما تحبو الاحتجاجات ضد الكوشر سريعاً أمام الجاهزية القانونية والسياسية المسبقة.

التوجس الاقتصادي وسلاح التغليف الخفي



علاوة على ذلك، يمتد التوجس ليتخذ طابعاً اقتصادياً مشوباً بقلّة التوعية. فكثيراً ما نثار اتهامات وشائعات غير مستندة إلى أدلة حول "شهادات الحلال" ورسومها، بدعوى أن هذه الأموال قد تذهب لدعم مؤسسات دينية متطرفة. هذا الضغط يدفع بعض الشركات إلى تقديم لحوم حلال دون الإشارة إلى ذلك على غلاف المنتج تجنباً للمقاطعة، وهو ما يأتي بنتائج عكسية؛ فعندما يكتشف المستهلكون غير المسلمين ذلك، يشعرون بالخداع ويعتبرون الأمر "فرضاً" لنمط غذائي ديني عليهم دون علمهم.

انعكاس لواقع سوسيولوجي معقد

إن التباين في التعامل مع "الحلال" و"الكوشر" لا يعكس اختلافاً جوهرياً في الأحكام الفقهية لعمليات الذبح، بل يجسد واقعاً سوسيولوجياً وسياسياً معقداً؛ فالأمر في نهايته لا يتعلق بالطعام في ذاته، بقدر ما يتعلق بكيفية رؤية المجتمع للمجموعة البشرية التي تطلبه، ومدى قدرة الثقافة السائدة على استيعاب التنوع الديموغرافي المتسارع. ولتجاوز هذه حالة السجال وتغيير النظرة النمطية، يُقترح العمل على الخطوات التالية:



إطلاق حملات إعلامية وتوعوية مدعومة بالأدلة العلمية: تنظيم حملة إعلامية توعوية مبرمجة وممولة من جهات رسمية وخاصة، تخاطب الرأي العام الغربي بلغة علمية وطبية موثقة لتوضيح الجوانب الصحية والأنثروبولوجية للذبح الحلال، ودحض الشائعات المتعلقة بالرفق بالحيوان.



تأسيس هيئة إسلامية موحدة للحلول والتأصيل: إنشاء مرجعية مؤسسية وقانونية موحدة في الدول الغربية تتولى تنظيم معايير "الحلال"، وتحدث بلسان رسمي أمام الإعلام والجهات التشريعية، وتفصل في المسائل الخلافية كالصعق الخفيف لتقديم خطاب علمي وقانوني متماسك.



تعزيز الشفافية والتوعية الاقتصادية: اعتماد شفافية كاملة في عمليات التغليف والترميز (Labeling) دون إخفاء، مع إطلاق حملات إعلامية توعوية توضح للرأي العام آلية إنفاق رسوم الشهادات وإسهام سوق الحلال الإيجابي في الاقتصاد المحلي.



التحالف القانوني لحماية الحريات الدينية: بناء شراكات واستراتيجيات دفاع قانوني مشتركة مع الهيئات الدينية الأخرى (كالمؤسسات المنظمة للكوشر) لترسيخ حماية الذبح الديني باعتباره حرية دينية مكفولة في الدساتير والقوانين الدولية.

(*): كاتب لبناني مقيم في المهجر

WHY ISLAM IS MORE EMPIRICAL THAN SCIENCE ITSELF

(*) By: Dr. Spahic Omer



Few accusations are repeated more often in modern intellectual discourse than the claim that Islam is "unscientific," "anti-empirical," or incompatible with rational inquiry. The modern world, deeply shaped by secular scientism and the prestige of empirical science, frequently portrays religion in general-and Islam in particular-as grounded merely in faith, dogma, and inherited tradition.

Whereas science is presented as the exclusive domain of observation, experimentation, and certainty. According to this view, science investigates reality objectively while religion rests upon unverifiable assumptions detached from experience and evidence.

Yet such a characterization collapses upon closer examination. In fact, Islam-as the religion revealed to all prophets from Adam to Muhammad, the Seal of the Prophets (peace and blessings be upon them all)-is not only empirical, but in many respects more empirical than science itself. This statement may initially appear paradoxical, but only because empiricism in modern thought has been narrowed and confined to the smallest material dimensions of existence. Islam, by contrast, embraces a far broader and more comprehensive conception of experience, observation, and knowledge.

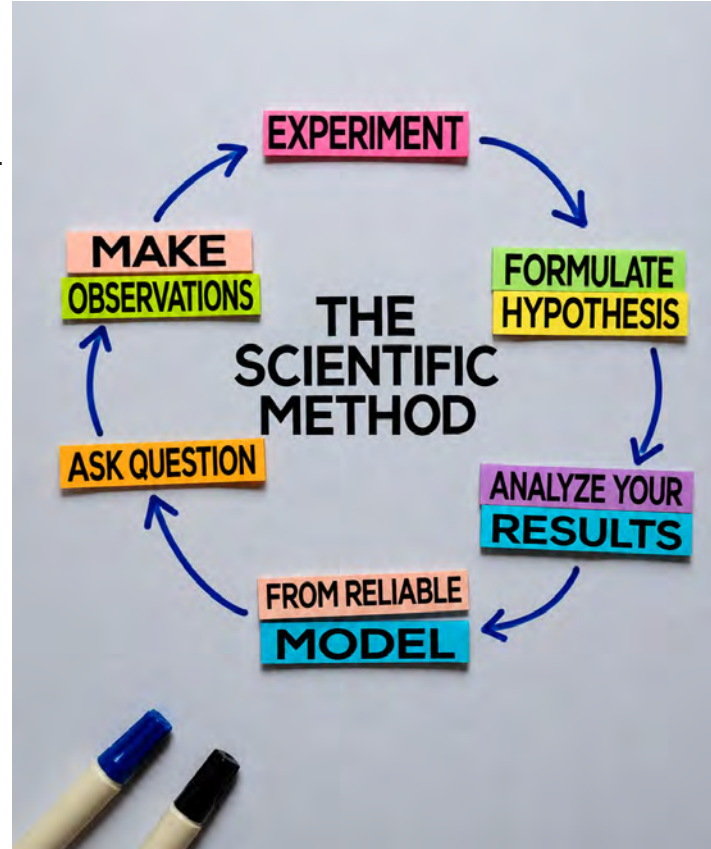
The central issue is therefore not whether Islam is empirical, but what counts as reality, what counts as experience, and what dimensions of existence are allowed to be observed and studied. Modern science restricts itself almost entirely to the physical and measurable realm accessible to the bodily senses and technological instruments. Islam accepts this realm fully, but simultaneously insists that reality extends far beyond it into the unseen (ghayb), the spiritual, metaphysical, and transcendent dimensions of existence. Consequently, Islam's empiricism is not narrower than science's empiricism, but vastly wider, deeper, and ontologically more complete.

By narrowing its scope from the very beginning, science doomed itself to failure. It sentenced itself to a debacle whose consequences have become increasingly apparent in modern times. By restricting reality to the merely material, measurable, and experimentally observable, science cut itself off from the higher spiritual and metaphysical dimensions of existence. Science's self-imposed smallness thus produced the smallness of man himself and, consequently, the smallness of his mind and his so-called civilization. Humanity advanced technologically and materially, yet spiritually, morally, and existentially it became increasingly diminished, confused, and hollow.

What Is Empiricism?

Empiricism, in its simplest definition, is the theory that knowledge arises primarily through observation, sensory perception, and experience. Scientific inquiry relies upon experimentation, observation, measurement, and repeated verification. A scientist observes phenomena, gathers evidence, conducts experiments, and then draws conclusions based upon empirical data.

Modern science therefore prides itself on being evidence-based. It seeks to avoid speculation detached from observation and insists that reliable knowledge must emerge from what can be experienced, tested, and verified.



Islam fundamentally shares this empirical orientation. The Qur'an repeatedly invites human beings to observe, reflect, travel, think, examine, compare, and learn from both nature and history. It constantly directs attention toward signs (ayat) in the horizons and within human beings themselves. The Qur'an appeals to sight, hearing, intellect, memory, and experience. It condemns blind following and praises reflection and certainty grounded in knowledge.

However, Islam differs radically from secular science in one decisive respect: it refuses to reduce reality only to what material instruments can currently measure. Islam recognizes that existence contains both the seen and the unseen, the physical and the metaphysical, the material and the spiritual. Accordingly, empirical experience in Islam is not confined merely to matter. It extends into dimensions of reality inaccessible to ordinary sensory capacities but nonetheless fully real and experiential.

Prophethood and Empirical Experience

Everything preached by the prophets was itself rooted in experience, observation, witnessing, and certainty. The prophets did not merely speculate about God, revelation, angels, Paradise, or the unseen world. They directly experienced them.

Prophet Musa spoke directly with Allah. Prophet Ibrahim was shown the realities of existence and the workings of divine power. Prophet Muhammad experienced perhaps the most comprehensive empirical encounter with the unseen realm in human history.



During the Mi'raj, the Prophet was brought into the divine presence and directly received from Allah the commandment of prayer as the axis of all pillars of Islam. He saw Archangel Jibril numerous times and in different forms, including his original angelic form. Jibril was responsible for conveying revelation from Allah, making the Qur'an not the product of human speculation but divine speech transmitted through direct communication.

The Prophet also saw Paradise and Hell. He conversed with earlier prophets including Adam, Musa, Ibrahim, and Isa. He interacted with the jinn, another component of the unseen realm. He witnessed some of the greatest signs and miracles of Allah in both heaven and earth. He likewise saw all the seven firmaments, each with its respective majesty.

And the Qur'an emphatically underscores: "The (Prophet's) (mind and) heart in no way falsified that which he saw. So will you dispute with him over what he saw?...(His) sight never swerved, nor did it go wrong!" (al-Najm 11-12, 17).

The Prophet's life was indeed profoundly experiential. The barriers separating the seen from the unseen, and the physical from the spiritual, were repeatedly opened before him. His existence in its entirety was otherworldly and miraculous. Much of what he saw, heard, experienced, and conveyed was literally "out of this world."



One cannot help but ask: is this not empiricism? Is this not experience, observation, witnessing, and certainty? Is this not precisely what science itself seeks-namely access to truth through experience?

The difference lies not in empiricism itself, but in the scope and completeness of the empirical field.

The Narrow Empiricism of Modern Science

Modern empirical science deliberately excludes the spiritual and unseen dimensions of existence. It confines itself almost entirely to the material realm. This limitation grants science precision within its field, but simultaneously creates enormous blind spots.

Scientific observations and experiments are often accurate within their narrow contexts. However, because they are detached from the larger ontological framework of existence, they frequently become misunderstood, misapplied, and ultimately harmful. Facts become isolated fragments suspended without ultimate meaning or purpose.



Science studies matter but cannot explain why existence itself exists. It measures processes but cannot explain ultimate purpose. It analyzes mechanisms but cannot answer why consciousness, morality, beauty, love, death, or meaning exist at all.

As a result, science often becomes trapped within speculation and conjecture precisely where the most important questions begin. It often ends up contradicting itself. Despite immense technological progress, humanity still struggles with the most basic existential issues: Why are we here? What is consciousness? What happens after death? What is morality grounded in? What is truth? What is the meaning of suffering? What is the ultimate purpose of existence?

Science possesses immense quantities of information but remains uncertain about the most fundamental realities of life. Its discoveries, detached from transcendent meaning, often become vulnerable to manipulation, exploitation, and abuse. Knowledge without moral and spiritual orientation becomes dangerous. The notion that knowledge is power is often little more than a utopia and a smokescreen. In the end, it frequently becomes the "power" of confusion, distortion, and draconian control.

With so much initial promise and hype during the Enlightenment and the Scientific Revolution, many aspects of modern science are gradually becoming clichés. They are even becoming boring and uninspiring. Approaching the limits of their own paradigm, they are slowly drifting into a cul-de-sac.

The modern world demonstrates this contradiction vividly. Scientific advancement has produced extraordinary technological capabilities, yet humanity remains plagued by anxiety, wars, moral confusion, nihilism, loneliness, environmental destruction, and spiritual emptiness. Science promised liberation, certainty, and progress, but its isolated empiricism frequently became anticlimactic. Its achievements turned into burdens because they were disconnected from higher truths and purposes.

Islam's Comprehensive Empiricism

Islam, by contrast, integrates empirical observation into a much larger and more coherent ontological framework. In Islam, the physical world is not isolated from the spiritual world. Rather, both complement and illuminate one another.

Nature itself is described in the Qur'an as a collection of signs pointing toward higher realities. Observation in Islam is therefore never an end in itself. Scientific inquiry becomes a stepping stone toward deeper levels of truth and awareness.

The physical realm is not rejected; it is contextualized. The material world serves the spiritual world. Observation leads to reflection, reflection leads to wisdom, and wisdom leads to recognition of Almighty Allah.

Islam hence possesses a more complete empiricism because it studies reality in its totality rather than in fragments. It acknowledges sensory experience while also recognizing higher forms of perception awakened through revelation, spirituality, morality, and purification of the soul.



Modern science often assumes that only material instruments can produce reliable knowledge. Islam responds that the human being himself is also an instrument of perception. Just as physical senses can be sharpened, spiritual senses as well can be awakened and refined. A purified soul can perceive realities inaccessible to material instruments alone.

And so, Islam does not reject empiricism; it expands it.

Scientists and Prophets: The Structure of Belief

There exists another striking similarity between science and Islam. In both cases, the overwhelming majority of people do not directly observe or experiment themselves. Rather, they rely upon trusted authorities.

Very few people personally conduct advanced scientific experiments. Most people accept scientific conclusions because scientists report them. When asked whether they themselves directly observed distant galaxies, subatomic particles, black holes, or complex laboratory processes, most people would honestly answer no. Somebody else observed them, conveyed the results, and they believed them.



The same principle applies to revelation. The prophets observed, experienced, interacted with, and witnessed realities beyond ordinary human access. They then conveyed those realities to humanity.

In both cases, consequently, people believe testimony communicated by others. Human beings are always followers and believers in some sense. Nobody independently verifies every claim personally. Society functions upon trust in chains of transmission and authority.

The real question thus becomes: whom should one trust more?

The Trustworthiness of the Prophets

Here Islam again stands on incomparably stronger ground.

Prophet Muhammad was universally known as al-Amin-the Trustworthy-even before prophethood. His integrity, honesty, moral excellence, and reliability were acknowledged by both friends and enemies. His entire life testified to truthfulness, sacrifice, sincerity, and moral perfection.

By contrast, scientists, while often brilliant intellectually, remain ordinary human beings subject to greed, ambition, vanity, politics, financial pressures, careerism, ideological biases, and moral weakness. Many scientists throughout history possessed deeply flawed moral lives. Some became instruments of destruction, exploitation, and manipulation. Scientific genius has frequently coexisted with ethical bankruptcy.

This does not invalidate science itself, but it demonstrates that scientists are hardly infallible authorities worthy of blind trust.

Moreover, the Prophet's knowledge came through Jibril, who is likewise described by Allah as trustworthy. The chain of revelation - it follows - is grounded entirely upon trustworthiness and purity: from Allah to Jibril al-Amin to Muhammad al-Amin; from the best in heaven to the best on earth.

What comparable chain of absolute integrity exists within modern scientific systems shaped by corporations, governments, ideological agendas, financial interests, competition, and human weakness?

The comparison is almost impossible to make. The difference is indeed like that between heaven and earth.

Islam, it goes without saying, is not anti-scientific nor anti-empirical. Rather, it offers a richer, broader, deeper, and more coherent empiricism than secular science itself. Science studies pieces of reality detached from ultimate meaning, whereas Islam studies existence as an integrated whole encompassing both matter and spirit, the seen and the unseen, the worldly and the eternal.



The prophets did not merely speculate about truth; they experienced it. They witnessed realities inaccessible to ordinary perception and conveyed them through chains of absolute trustworthiness. Islam's empiricism therefore extends beyond laboratories and instruments into the full spectrum of existence itself.

Modern science, having isolated itself from metaphysical reality, became confined within uncertainty, skepticism, and incompleteness. Islam, however, situates empirical knowledge within the larger ontological framework of divine purpose and ultimate truth.

For this reason, Islam is not less empirical than science. It is more empirical, more comprehensive, and ultimately more reliable than science itself.

Dr. Spahic Omer is an Associate Professor at the Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia (IIUM)

(*) Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. May 17, 2026

الإسلام وعلم الطاقة

(الكلمة الأخيرة)

د. محمد فرشوخ

بقي موضوع الطاقة عند الانسان لغزاً محيراً، يترنح بين القدرات الخارقة عند بعض الناس وبين الخدعة والحيلة عند آخرين، إلى أن صار علماً له اختبارات وآلاته، وصار معلوماً أن الطاقة قد تصدر عن إنسان أو نبات (كالحة السوداء)، أو حتى عن جماد، كبعض المعادن والأحجار التي تصدر منها قوة إشعاعية كالبلوتونيوم، أو مغناطيسية أو جاذبية، لها تأثيرات إيجابية أو سلبية، بعضها قاتل وبعضها معالج وبعضها ينشط وبعضها يفعل.

وقد تبين في دراسات علماء منتصف القرن العشرين (أنه لا بد وأن يكون بين النفس والطاقة علاقة ومعابر وتكون النفس لصيقة بالطاقة كما هي لصيقة بالحياة، وبالفعل نشأ في الربع الأخير من هذا القرن علم جديد يبحث في المعبر بين الطاقة والنفس سمي سيكوترونكس (Psychotronics)^(١). وصار بالإمكان قياس طاقة الانسان وتغييرها في أوقات وظروف مختلفة.

لكن الذي لا يزال معلوماً ومجرباً من جهة ولا قدرة على قياسه أو حصره، هو تلك الطاقة التي تنزل على العبد المسلم أو تحيط به أو تصدر عنه. ومن ذلك اجتماع الهمم في الدعاء وفي الذكر، إذ يخرج المسلم من بعض مجالس العلم أو الذكر مزوداً بطاقة لم تكن فيه حين دخل. ومن حديث رسول الله ﷺ قوله: «وَلَزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»^(٢). ولاجتماع المسلمين عند أداء الطاعات نتائج منها تضافر الطاقات، و«اجتماع القلوب واتفاق الكلمة وإعانة الشيطان ونمو الأعمال، وغير ذلك من فوائد الجماعة التي تُبَيَّنُ عَلَى السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ»، كما عدّهم الإمام القاري^(٣). يكفي أن نعلم الفرق بين صلاة الفرد وصلاة الجماعة، قال رسول الله: "فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَخُدُّهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءًا"^(٤)

ويخرج المسلم من الصلاة أحياناً بنشاط وليس فقط بشعور، يجعله يقوم بأعمال ومبادرات فوق عادته وطاقته المعهودة. ألم يقل الله تعالى، على لسان سيدنا هود عليه السلام:

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾

[هود: ٥٢]

ومن ينظر إلى الحجاج حين يؤدون مناسكهم على الرغم من التعب والإجهاد، يراهم يشعرون بطاقة ونشاط وهممة لم يعهدوها من قبل في أوطانهم قبل قدومهم إلى الحج. ومن يجالس العلماء الربانيين تتحرك فيه قوة لم يعهدوها من قبل، فيجد في نفسه الرغبة والهمة والعزيمة للتوبة والإجابة وتصحيح المسار. للطاقة ينابيع (إذا جاز التعبير)، يشعر بها من وقف متهيئاً أمام الكعبة بعد طول شوق وانتظار، ويعرفها الطائفون وهم يلبون ويهللون ويكبرون، ويعرفها الواقفون أما القبر الشريف المتهيبون، الموقرون، المتذللون.

وأول ما يبدأ المسلم بالتهجد وقيام الليل، يعتريه النعاس ويشعر بالتعب وبثقل الهمة، فإذا كابد وقاوم وثابر على هذه الطاعة الفريدة أصبحت له في مناجاة الليل لذة ليس له مثلها في النهار، وله في الليل صفاء في النفس أكبر، وعمق في التفكير أكثر، ودمع من العين أغزر، فما الذي تغير! قال الإمام المناوي: «لأنه وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات وهو وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب واستدراار الرحمة وفيوض الخير»^(١).

ما التوبة إلا طاقة تحل في العبد، تعينه على التغيير، وما الصوم إلا طاقة ترفع همّة الصائم وتقوي إرادته، وتزيد من صبره وحلمه وعلمه وعمله. وأما عن حلاوة الزكاة والصدقة والانفاق، فلا يتذوقها إلا من مارسها وثابر عليها، ونسألها ما الذي جعله أكثر إحساساً بالآخرين وجعل دمعته غزيرة والمال في عينه وُجد يُنفق لا يُكَنَز.

ونسأل الآن عن مصدر هذه الطاقة، أخرج من داخل العبد العابد؟ أم تنزل على قلبه وعقله وجوارحه من ربه؟ علامة على رضاه وقبوله وحثاً له على المثابرة. يقول الله تعالى:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[فاطر: ١]

أغلب المؤمنين يعرفون ذلك ويشعرون به، ولو أنهم لا يطلقون على تلك الأحوال إسماءً أو صفات معينة، وما فائدة التسمية لمن لم يجرب ولا يعرف ولا يشعر بهذه الطاقة، أو بهذا التجلي أو بتلك الهمة أو الشوق أو الرغبة أو الرهبة...

وكما أن المؤمن يتكسب طاقة إيجابية، تقدح في القلب والعقل والنفوس وفي الجوارح، فإن للمنافق والكافر طاقة سلبية تثبط الهمم وتثني عن الإنتاج، وتنشر اليأس والإحباط، حتى أنها تسلب العافية، وقد تسبب الضعف والأمراض، قال رسول الله ﷺ: "العين تدخل الجمل القدر والرجل القبر". وما العين إلا طاقة سلبية. وماذا عن {شر حاسد إذا حسد} (٦)، وكيف نفهم قول رسول الله ﷺ: استعينوا لقضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود، وماذا نستنتج من قول الصالحين:

(أَكْتُمُ عَنِ النَّاسِ ذَهَبَكَ وَذَهَابَكَ وَمَذْهَبَكَ).

من الطاقة السلبية، الخذلان والجبن والمنع والبخل والإيقاع بين الناس والفتن في الأمة وسوء الظن وتخاذيل الجموع وتفريق الصفوف. وكما يزيد المؤمن من طاقته الإيجابية، فإن هؤلاء على العكس يزدادون سلبية بسبب إمعانهم وسوء فعالهم، قال تعالى:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ...﴾

[البقرة: ١٠]

الخلاصة

في الخلاصة، ما الطاقة في الإسلام إلا حرارة الإيمان، فالمنافق في المعركة يتراجع فيختبئ، والمؤمن يتقدم الصفوف وهو يعلم أن الموت بات قريباً. ما الطاقة في الإسلام إلا بث روح المحبة والتآخي بين الناس، ما الطاقة إلا علو الهمة في تفقد الأخ الغائب وزيارة المريض، وتعزية المصاب، ورعاية اليتيم وإعانة المحتاج. ما الطاقة في الإسلام إلا ترميم البيوت والجسور وتأمين الدواء والغذاء، والخدمة العامة. ختاماً، في الحديث القدسي التالي، موجزٌ للدور الإلهي في تعزيز طاقة الانسان وردفه بالهمة والقوة والإرادة والرزق والإيمان: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَظَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ اسْتَظَعَمْتَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»^(١)

1- راجع بحث "الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث"، أ.د. خمساوي أحمد الخمساوي، مجلة الإعجاز العدد العاشر 2009م صفحة 18.

2- «المعجم الكبير للطبراني من ج 21» (91 / 21) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

3- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (970 / 3) للإمام القاري.

4- «مسند أحمد» (120 / 16 ط الرسالة) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«فيض القدير» (259 / 3).

5- سورة الفلق

6- «صحيح مسلم» (13 / 8 ط التركية). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القرءاء الأعزاء

يرجى من الراغبين بالتبرع
الاتصال بمكتب منتدى الإعجاز
هاتف: +٩٦١١٣٤٦٦٩٩
فاكس: +٩٦١١٣٤٦٦٨٨

Empowering Education

Smarter technology.
Safer spaces.
Brighter futures.



PEOPLE



SPACES



OPPORTUNITIES

*Learning
Thrives
Together*

LEARN
CREATE
COLLABORATE
BELONG

TECHNOLOGY
PEOPLE
BRIGHTER
TOMORROWS

Ideas
Skills
People
A Better
Tomorrow



**Structured
Network & Wi-Fi**

Reliable connectivity
for seamless learning



**Digital
Classrooms & Labs**

Interactive and
engaging learning
environments



**CCTV, Access
Control & Alarms**

A safer campus
for everyone



**Cybersecurity &
Content Filtering**

A safe and focused
digital experience



**Microsoft 365 &
Google Workspace**

Collaborate, create
and achieve more



**Audio, Video
& Paging**

Clear communication
across campus



**Power Backup
& Solar**

Uninterrupted
learning for
a sustainable
tomorrow



**IT Supplies &
SLA Support**

Expert support
when you need it

TRUSTED TECHNOLOGY PARTNERS



www.Techaneyat.com | sales@techaneyat.com | +961 76 100 766

EXPLORE OUR SERVICES →

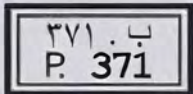


WELCOME TO THE WORLD OF ENGINEERING

1561

FACULTY OF ENGINEERING NOW AVAILABLE AT AUL

WWW.AUL.EDU.LB



الإعجاز

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة - لبنان

بيروت، لبنان

جادة الراشدين - تقاطع بستر الصنائع

سنتر مونتي مارينا - بلوك C ط ٣

هاتف: +٩٦١١٣٤٦٦٩٩ - فاكس: +٩٦١١٣٤٦٦٨٨

بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com

www.iijazforum.org